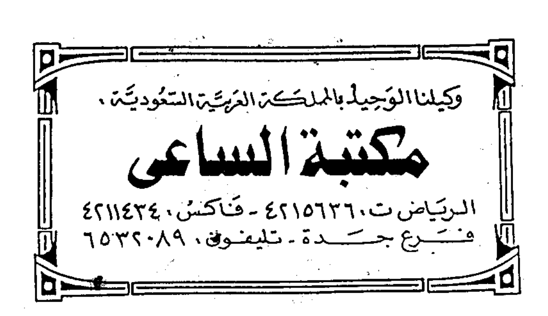
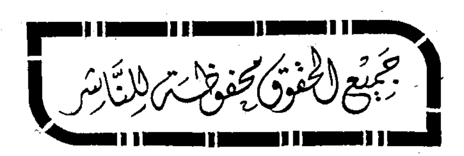
عبد اللطيف عاشور



توزيع
مكتبات إحياء التراث الإسلامي
مكتبة الحلبي سابقًا
المدينة المنورة - حي النصر
ت ٨٢٦٥٩٣٤/٨٢٤٢٧٧٥ - ص ب ٤٠٧٧

مكتبة القرآن
للطبع والنشر والتوزيع
٣ شارع القماش بالفرنساوى - بولاق
القاهرة - ت ، ٧٦١٩٦٢ - ٧٦٨٥٩١


وكيلنا الوحيد بالمملكة العربية السعودية :
مكتبة الساعي
الرياض ت : ٤٢١٥٦٣٦٠ - فاكس : ٤٢١١٤٣٤
فرع جدة - تليفون : ٦٥٣٢٠٨٩


جميع الحقوق محفوظة للناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

المُقــدمة

أحمد الله تبارك وتعالى ، وأصلى وأسلم على سيدنا ومولانا محمد المبعوث رحمة للعالمين ، أرسله الله هادياً وبشيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، وعلى آله وصحبه الذين ساروا على نهجه واهتدوا بهديه ، فأعزهم الله بعزه ، وشملهم بفضله وفتح على أيديهم أبواب الرحمة ، وأشعل مصابيح الهدى ، فأنارت بسببهم قلوب الحيارى من البشر ، وأضاءت لهم الطريق ..

أما بعد .. فهذا كتاب « نعيم الجنة فى القرآن والسنة » قصدت من تقديمه أن يكون بشارة سارة لكل مؤمن يسير على درب الإيمان غايته الوصول إلى طريق السعادة الدائمة والنعيم المقيم الذى لا يفنى .. ومناه أن يمنحه الله الخلود فى الجنة .. تلك الدار التى قال رسول الله ﷺ فى وصفها ونعيمها : فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .. ينعم فلا ييؤس ، ويحيا فيها فلا يموت ، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه .. نور يتلألأ ، وريحانة تهتز ، ومقام فى أبد ...

ومن أجل ذلك جاء هذا الكتاب تحقيقاً لهدفين :

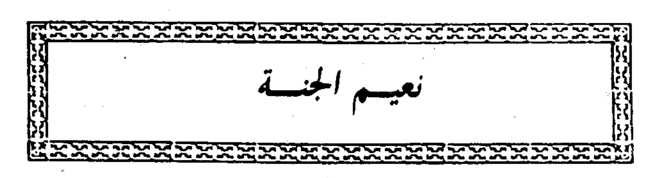
أولاً : إغراء للمؤمن بصالح الأعمال التى توصله إلى تلك الدار وتشجيع له على المضى بعزم ويقين نحو طريق الله وهداه .

ثانياً : وصف صادق وأمين يرتكز على الأدلة من الكتاب والسنة : لِمُتع الجنة ونعيمها وما أعد المولى عز وجل لعباده الصالحين فيها ـــ ومهما كان جمال الوصف فلا تعد شيئاً بجانب الحقيقة الساطعة التى طبعها الله عليها لأن الله تعالى إنما وصفها لنا على قدر عقولنا وصورها على حسب تصورنا وفهمنا .. وكيف يقدر العقل القاصر الضعيف ـــ كما يقول ابن القيم : « قدر جنة غرسها الرحمن بيده ، وجعلها جزاء لأحبابه ، وملأها برضوانه ورحمته ، وزينها وأتقنها بعظيم قدرته ، ووصف نعيمها بالفوز العظيم ، ووصف ملكها بالملك الكبير : ﴿ وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً ومُلكاً كبيراً ﴾[1] لا يستطيع له الخيال تصويراً ـــ كما لا يستطيع اللسان عنه تعبيراً .. فكل وصف يبخس ما أبدعه الرحمن .. لأن الخبر ليس كالعيان » ..

أسأل الله عز وجل أن يحقق لنا هذه الغاية وأن ينفع به وأن يجعله ذخراً لنا فى فى صحيفة أعمالنا وصالح أفعالنا وأقوالنا إنه بالإجابة جدير .

عبد اللطيف أحمد عاشور

(١) سورة الإنسان : آية ٢٠ .



نعيـم الجنـة

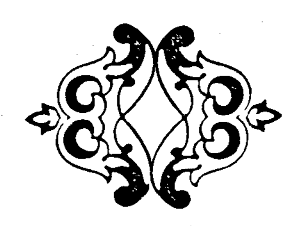
« والله ما العيش إلا فى الجنة حيث يقع اليقين بالرضى والمعاشرة لمن لا يخون ولا يؤذى .. والله إنى لأتخيل دخول الجنة ودوام الإقامة فيها من غير مرض ولا آفة تطرأ .. بل صحة دائمة ، وأغراض متصلة لا يعتورها منغص .. فى نعيم متجدد فى كل لحظة إلا زيادة لا تتناهى فأكاد أذهل .

ومعلوم أن منازل الجنة إنما تكون على قدر الاجتهاد هٰهنا .. فى الدنيا فواعجباً من مضيع لحظة فيها .. فتسبيحة واحدة تغرس لك شجرة أكلها دائم وظلها .. فيأيها الخائف من فوت ذلك شجع قلبك بالأمل والرجاء .

فمنذ خروج الروح تنكشف هذه المنازل لأصحابها لتستقر تلك الأرواح فى حواصل طير تعلق فى أشجار الجنة فالبدار البدار قبل أن تصفر شمس العمر وقبل أن يحين الغروب . فمن تخيل دوام اللذة فى الجنة هان عليه فى الدنيا كل بلاء وشدة » .

« ابن الجوزى »

★★★



الباب الأول
همسة فى أذنك

لا شك أن هناك أشياء لا تستطيع بحال أن تنكرها وإن حاولت إبعادها ، فى بعض المواقف تعففاً أو تورعاً ولكنك لن تستطيع خداع نفسك التى بين جنبيك . ألا ترى أنك تميل من ذاتك إلى الهواء الطلق ، والنسيم العليل ، والخضرة الجذابة ، والمكان الفسيح ، والماء الجارى حينما تمل وتسأم ؟! ألا ترى أنك دائماً تأخذك نفسك إلى مثل هذه الأماكن للاستمتاع والاستجمام .. ؟!

قل الحق وسأقوله معك .. إن الإنسانية جمعاء تحب الجمال بأنواعه وتعشق النظافة والنعيم ..

ومن هنا فإنى أهمس فى أذنك لتذهب هناك إلى الجنة التى تختلف عن كل نعيم . هواؤها ليس ككل هواء ، ونسيمها ليس ككل نسيم ، ونعيمها ليس ككل نعيم ، فربما استمتعت يوماً فى دنياك ثم لازمت الفراش أياماً .. وربما أكلت أمتع الطعام وشربت ألذ الشراب فكان داء عضالاً .

ولكن الحق .. أنه هنالك فى الجنة التى أعدها الله للمتقين ليس ثمة شىء من هذا القبيل ..

انظر معى إلى شىء صنعه الله لعباده ليس كل العباد ولكن لأناس ابتعدوا عن الباطل ، لأن الله سماه باطلاً ، وأقبلوا على الحق لأن الله سماه حقاً .. مقصدهم الله وملجؤهم الله فهم أصفياؤه وأحباؤه ، أما رأيت ملكاً فى الدنيا كيف يغدق الأموال والنعيم والرضا مع أتباعه وأصفيائه ؟!! .

فما بالك إذا كان الإغداق من رب العالمين ؟!

ألا تسير معى ..

نشم هواءها .. ونحاول وصفها .. ونتلذذ بذكرها .. ونسير بين أشجارها وندقق فى طريقها .. علنا نحاول جادين بعد ذلك الوصول إليها ؟!! .. فهلا نفتح آذاننا .. ونشخص أبصارنا .. ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير ..

◘ الجنة وأسماؤها

جنة الخلد لها أسماء عديدة باعتبار صفاتها التى وصفها الله بها وقد ذكر لها ابن

القيم فى كتابه : « حادى الأرواح » اثنى عشر اسماً نذكرها باختصار فيما يلى :

* ***الجنة*** : وهو اسمها العام المتناول لتلك الدار وما اشتملت عليه من أنواع النعيم واللذة والبهجة والسرور وقرة الأعين وأصل اشتقاقها : جنَّه : ستره وسميت بذلك ، لأن أشجارها كثيفة الأغصان تستر وتغطى ماوراءها .

* ***دار السلام*** : وسميت بهذا الاسم فى قوله تعالى : ﴿ **لهم دار السلام** ﴾ ﴿ **والله يدعوا إلى دار السلام** ﴾ لأنها دار السلامة من كل بلية ومكروه وهى دار الله واسمه سبحانه وتعالى « السلام » .

* ***دار الخلد*** : وسميت بذلك لأن أهلها لايرحلون عنها أبداً أو يغادرونها مطلقاً قال تعالى : ﴿ **عطاء غير مجذوذ**] أى غير مقطوع . ﴿ **أكلها دائم وظلها** ﴾ ﴿ **وماهم منها بمخرجين** ﴾ .

* ***دار المقامة*** : قال تعالى حكاية عن أهلها : ﴿ **وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور ، الذى أحلنا دار المقامة من فضله لايمسنا فيها نصب ولايمسنا فيها لغوب** ﴾ أى أقاموا فيها لايموتون ولايتحولون منها أبداً .. فدار المقامة : أى الإقامة الأبدية .

* ***جنة المأوى*** : قال تعالى : ﴿ **عندها جنة المأوى** ﴾ وقال : ﴿ **وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى** ﴾ أى المكان الذى يأوى إليه ليستقر فيه استقراراً أبدياً .

* ***جنات عدن*** : قال تعالى : ﴿ **جنات عدن التى وعد الرحمن عباده بالغيب** ﴾ وقال : ﴿ **جنات عدن يدخلونها يُحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير** ﴾ وقال : ﴿ **مساكن طيبة فى جنات عدن** ﴾ ومعنى جنات عدن أى جنات إقامة ودوام يقال : عدن بالمكان إذا أقام به وداوم على الإقامة فيه .

* ***دار الحيوان*** : قال تعالى : ﴿ **وإن الدار الآخرة لهى الحيوان** ﴾ أى دار الحياة الدائمة التى لاتفنى ولاتنقطع ولاتبيد كما يفنى الأحياء فى هذه الدنيا فهى أحق بهذا الاسم من الحيوان الذى يفنى ويموت .

* ***الفردوس*** : قال تعالى : ﴿ **أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم**

جنات الفردوس نُزلاً ﴾ والفردوس هو : البستان الذى فيه الأعناب ويطلق الفردوس على جميع الجنة وقيل : على أفضلها وأعلاها .

* *جنات النعيم* : قال تعالى : ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم** ﴾ وهذا أيضا اسم جامع لجميع الجنات لما تضمنته من الألوان التى تنعم بها من مآكل ومشارب وملابس وشتى أنواع ذلك من النعيم الظاهر والباطن .

* *المقام الأمين* : قال تعالى : ﴿ **إن المتقين فى مقام أمين** ﴾ والمقام : موضع الإقامة والأمين : الآمن من كل سوء وآفة ومكروه ، وهو الذى قد جمع صفات الأمن كلها ، فهو آمن من الزوال والخراب وأنواع النقص ، وأهله آمنون فيه من الخروج والتنغص والنكد .. وتأمل كيف ذكر الله سبحانه وتعالى الأمن فى قوله تعالى : ﴿ **إن المتقين فى مقام أمين** ﴾ وفى قوله تعالى : ﴿ **يدعون فيها بكل فاكهة آمنين** ﴾ فجمع لهم بين أمن المكان وأمن الطعام فلا يخافون انقطاع الفاكهة ولا سوء عاقبتها ومضرتها وأمن الخروج منها فلا يخافون ذلك وأمن الموت فلا يخافون فيها موتا .

* *مقعد الصدق وقدم الصدق* : قال تعالى : ﴿ **إن المتقين فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر** ﴾ فسمى جنته مقعد صدق لحصول كل ما يراد من المقعد الحسن فيها كما يقال : مودة صادقة : إذا كانت ثابتة تامة . وقدم صدق : أى الجنة وفسر بالأعمال التى تنال بها الجنة .

▣ *ابن القيم ينشد فى الجنة*

* ذكر العلامة ابن قيم الجوزية فى (حادى الأرواح) هذه القصيدة :

ومـا ذاك إلا غيره أن ينـالها	سوى كفئها والرب بالخلق أعلم
وإن حجبت عنا بكـل كريهة	وحفت بما يؤذى النفوس ويؤلم
فلله ما فى خشوهـا من مسرة	وأصنـاف لذات بها يتنعـم
ولله برد العيش بين خيامها ورو	ضاتها والثغر فى الروض يبسم
ولله واديها الذى هو موعد المزيـ	ـد لوفـد الحب لو كنت منهم
بذياك الـوادى يهيم صبابـة	محب يرى أن الصبابـة مغنـم
ـه أفـراح المحبين عندمـا	يخاطبهم من فوقهـم ويسلـم

لله أبصار الله ترى الله جهـــرة   فلا الضيم يغشاها ولا هى تسأم
فيا نظرة أهدت إلى الوجه نضرة   أضاء لها نور من الفجر أعظـم
فيا لذة الأبصار إن هى أقبلت   ويالــذة الأسماع حين تكلـــم
ويا خجلة الغصن الرطيب إذا انثنـ   ـت ويا خجلة الفجرين حين تبسم
فإن كنت ذا قلب عليـل بحبها   فلم يبق إلا وصلها لك مرهـم
ولاسيما فى لثمها عند ضمها وقد   صار منها تحت جيـدك معصم
تراه إذا أبدت له حسن وجهها   يلـذ به قبـل الـوصال وينعـــم
تفكه فيها العين عند اجتلائها   فواكه شتى طلعهـا ليس يعـدم
عناقيـد من كرم وتفـاح جنـة   ورمان أغصان به القلب مغرم
وللورد ما قد ألبسته خدودهـا   وللخمر ما قد ضمه الريق والفم
تقسم منها الحسن فى جمع   واحد فياعجباً من واحد يتقسم
لها فرق شتـــــى من الحسن   أجمعت بجملتها ان السلو محرم
تذكر بالـرحمن من هو ناظـــر   فينطـــق بالتسبيـــح لا يتلعثم
إذا قابلت جيش الهموم بوجهها   تولى على أعقابـــه الجيش يهزم
فياخاطب الحسناء إن كنت راغـ   ـباً فهذا زمان المهر فهو المقدم
ولما جرى ماء الشباب بغصنها   تَيَقَّـــن حقــاً أنـــه ليس يهرم
وكـن مبغضاً للخائنات لحبها   فتحظـى بها من دونهن وتنعـم
وكـــن أيماً ممن سواهـــا فإنها   لمثـــلك فى جنـــات عدن تأيم
وصُم يومك الأدنى لعلك فى غد   تفوز بعيد الفطر والناس صُوَّم
وأقـدم لا تقنـع بعيش منـغص   فما فاز باللذات من ليس يقدم

◘ وجود الجنة وخلقها

الإيمان بوجود الجنة وخلقها واجب على كل مسلم ومسلمة لثبوت ذلك فى القرآن والسنة ، فالجنة مخلوقة وكائنة قال تعالى : ﴿ ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى[1] عندها جنة المأوى ﴾[2]

ولقد رآها رسول الله ﷺ ودخلها فى إسرائه كما فى الصحيحين من حديث

(١) سدرة المنتهى : شجرة فى أقصى الجنة إليها ينتهى علم الأولين والآخرين ولا يتعداها .
(٢) سورة النجم : الآيات ١٣ – ١٥ .

أنس فى قصة الإسراء : « ثم انطلق بى جبريل حتى انتهى إلى سدرة المنتهى فغشيها ألوان لاأدرى ماهى ؟ قال : ثم دخلت الجنة فإذا فيها جنابذ[1] اللؤلؤ وإذا ترابها المسك » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين » رواه مسلم .

وفى الصحيحين واللفظ للبخارى عن عبد الله بن عباس قال : « انخسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ فذكر الحديث وفيه قال : « **إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لايخسفان لموت أحد ولا لحياته ، فإذا رأيتم ذلك فاذكروا الله ، فقالوا : يارسول الله رأيناك تناولت شيئاً فى مقامك ثم رأيناك تكعكعت[2] فقال إنى رأيت الجنة وتناولت عنقوداً ولو أصبته لأكلتم منه مابقيت الدنيا ، ورأيت النار فلم أر منظراً كاليوم أفظع ، ورأيت أكثر أهلها النساء ، قالوا بم يارسول الله ؟ قال : بكفرهن ، قيل : أيكفرن بالله ؟ قال يكفرن العشير ويكفرن الإحسان ، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ؟ ثم رأت منك شيئاً قالت : مارأيت منك خيراً** » .

وفى صحيح مسلم من حديث أنس بن مالك قال : « بينما رسول الله ﷺ ذات يوم إذ أقيمت الصلاة فقال : « **يأيها الناس . إنى إمامكم فلا تسبقونى بالركوع ولا بالسجود ولاترفعوا رءوسكم فإنى أراكم من أمامى ومن خلفى وأيم الذى نفس بيده لو رأيتم مارأيت لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ، قالوا : وما رأيت يارسول الله ؟ قال : رأيت الجنة والنار** »

وفى صحيح مسلم أيضاً والسنن والمسند من حديث أبى هريرة أن رسول الله ﷺ : قال « **لما خلق الله تعالى الجنة والنار ، أرسل جبريل إلى الجنة فقال : اذهب فانظر إليها وإلى ماأعددت لأهلها فيها ، فذهب إليها وإلى ماأعد الله لأهلها فيها فرجع ، فقال : وعزتك لايسمع بها أحد إلا دخلها ، فأمر بالجنة فحفت بالمكاره ، فقال فارجع فانظر إليها وإلى ماأعددت لأهلها فيها . فقال : فنظر إليها ثم رجع فقال : وعزتك لقد خشيت أن لايدخلها أحد . قال : ثم أرسله إلى النار قال : اذهب فانظر إليها وإلى ماأعددت لأهلها فيها . قال : فنظر إليها فإذا هى يركب بعضها بعضاً ثم رجع فقال : وعزتك وجلالك لايدخلها أحد سمع بها ، فأمر بها فحفت بالشهوات ثم قال : اذهب فانظر إلى**

(١) الجنابذ : جمع جنبذة وهى القبة .
(٢) تكعكعت : أى أحجمت وتأخرت إلى الوراء .

ما أعددت لأهلها فيها ، فذهب فنظر إليها فرجع فقال : وعزتك لقد خشيت ألا ينجو منها أحد إلا دخلها » .

وفى صحيح البخارى من حديث أنس عن النبى ﷺ أنه قال : « **بينما أنا أسير فى الجنة وإذا بنهر فى الجنة حافتاه قباب الدر المجوف قال : قلت : ماهذا ياجبريل ؟ قال : هذا الكوثر الذى أعطاك ربك ، فضرب الملك بيده فإذا طينة المسك الأذفر** »[1] .

وفى الصحيحين أيضاً من حديث أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم . قال : فيأتيه ملكان فيقعدانه فيقولان له : ماكنت تقول فى هذا الرجل ؟ قال فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله ، قال : فيقولان له : انظر إلى مقعدك من النار . وقد أبدلك الله مقعداً فى الجنة . قال نبى الله ﷺ . فيراهما جميعاً** » .

وفى المسند وصحيح الحاكم وابن حبان من حديث البراء بن عازب قال : « خرجنا مع رسول الله ﷺ فى جنازة رجل من الأنصار ـــ فذكر الحديث بطوله ـــ وفيه : **فينادى مناد من السماء إن صدق عبدى فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابا إلى الجنة ، قال : فيأتيه من روحها**[2] **طيبها** » وذكر الحديث .

وفى الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « **إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى ، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار ، فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله تعالى يوم القيامة** » .

وفى الموطأ والسنن من حديث كعب بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « **إنما نسمة**[3] **المؤمن طير يعلق فى شجر الجنة حتى يرجعها الله إلى جسده يوم القيامة** » .

وفى صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **دخلت الجنة فرأيت فيها قصراً ودارا فقلت : لمن هذا ؟ فقيل : لرجل**

---

(١) الأذفر : الطيب الرائحة .
(٢) الرَّوْح : بفتح الراء وتشديدها : النسيم .
(٣) النسمة : الرّوح بضم الراء .

من قريش فرجوت أن أكون أنا هو ، فقيل لعمر بن الخطاب : فلولا غيرتك يأبا حفص لدخلته . قال : فبكى عمر ، وقال : أويغار عليك يارسول الله ؟ » .

جنّـــة آدم

يتساءل الناس عن الجنة التى أسكنها آدم عليه السلام وأهبط منها ، فمنهم من قال : إنها جنةُ الخُلد ، ومنهم من يرى أنها ليست جنة الخلد ، فما حقيقتها ؟

* قال منذر بن سعيد فى تفسيره : وأما قوله تعالى لآدم : ﴿ **اسكن أنت وزوجك الجنة** ﴾[1] فقالت طائفه : أسكن الله آدم جنة الخلد التى يدخلها المؤمنون يوم القيامة . وقال آخرون : هى جنة غيرها جعلها الله له ، وأسكنه إياها ليست جنة الخلد ، قال : وهذا قول تكثر الدلائل الشاهدة له ، والموجبة للقول به ، وقال أبو الحسن الماوردى فى تفسيره : واختلف الناس فى الجنة التى أسكناها على قولين :

أحدهما : أنها جنة الخلد .

والثانى : أنها جنة أعدها الله تعالى لهما وجعلها دار ابتلاء ، وليست هى جنة الخلد التى جعلها دار جزاء : ومن قال بهذا اختلفوا فيه على قولين :

أحدهما : أنها فى السماء ، لأنه أهبطهما منها، وهذا قول الحسن .

والثانى : أنها فى الأرض ، لأنه امتحنهما فيها بالنهى عن الشجرة التى نهيا عنها دون غيرها من الثمار . وهذا قول ابن بحر . وكان ذلك بعد أن أمر إبليس بالسجود لآدم عليه والسلام .. والله أعلم بصواب ذلك .

* ومنهم من قال : إن الكل ممكن ، والأدلة متعارضة ، فوجب التوقف وترك القطع .

حجج من اختار أنها جنة الخلد :

قالوا : وقد روى مسلم فى صحيحه من حديث أبى مالك عن ابن حازم عن أبى هريرة وأبى مالك عن ربعى عن حذيفة قالا : قال رسول الله ﷺ : « **يجمع الله تعالى الناس ، فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة . فيأتون آدم عليه السلام**

(١) سورة البقرة : آية ٣٥ .

فيقولون : ياأبانا استفتح لنا الجنة ، فيقول ، وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم .. الحديث » .

قالوا : وهذا يدل على أن الجنة التى أخرج منها هى بعينها التى يطلب منه أن يستفتحها .

* وفى الصحيحين حديث آدم وموسى وقول موسى :أخرجتنا ونفسك من الجنة ، ولو كانت فى الأرض فهم قد خرجوا من بساتين ، فلم يخرجوا من الجنة ، وكذلك قول آدم للمؤمنين يوم القيامة : « وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم ؟ وخطيئته لم تخرجهم من جنات الدنيا » قالوا وقد قال الله تعالى فى سورة البقره : ﴿ **وقُلنا ياآدم اُسكن أنت وزوجك الجنةَ وكلا منها رغداً حيث شئتما ولاتقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مُستقر ومتاع إلى حين** ﴾[1]

* فهذا يدل على أن هبوطهم كان من الجنة إلى الأرض من وجهين :

أحدهما : من لفظة اهبطوا . فإنه نزول من علو إلى سفل .

والثانى : ولكم فى الأرض مُستقر عقب قوله : اهبطوا فدل على أنهم لم يكونوا قبل ذلك فى الأرض ، ثم أكد هذا بقوله فى سورة الأعراف : ﴿ **قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون** ﴾[2] ، ولو كانت الجنة فى الأرض لكانت حياتهم فيها قبل الإخراج وبعده .

* قالوا : وقد وصف سبحانه وتعالى جنة آدم بصفات لاتكون إلا فى جنة الخلد فقال تعالى : ﴿ **إن لك ألا تجوع فيها ولاتعرى وأنك لاتظمأ فيها ولاتضحى** ﴾[3] . وهذا لايكون فى الدنيا أصلاً فإن الرجل ولو كان فى أطيب منازلها لابُدَّ أن يعرض له شيء من ذلك ، وقابل سبحانه بين الجوع والظمأ ، والعرى والضحى : حر الظاهر ، فنفى عن سكانها ذل الظاهر والباطن ، وحر الظاهر والباطن ، وذلك أحسن فى المقابلة بين الجوع والعطش ، والعرى والضحى ، وهذا شأن ساكن جنة الخلد . (ا. هـ كلامهم) .

---

(١) سورة البقرة : الآيتان ٣٥ ، ٣٦ .
(٢) سورة الأعراف : آية ٢٥ .
(٣) سورة طه : الآيتان ١١٨ ، ١١٩ .

حجج من اختار أنها ليست جنة الخلد وإنما هى جنة الأرض

* قالوا قد أخبر الله سبحانه على لسان جميع رسله : أن جنة الخلد إنما يكون الدخول إليها يوم القيامة ، ولم يأت زمن دخولها بعد . وقد وصفها الله سبحانه لنا فى كتابه . بصفاتها ومحال أن يصف الله سبحانه وتعالى شيئاً بصفة ، ثم يكون ذلك الشىء ، بغير تلك الصفة التى وصف بها .

* قالوا : فوجدنا الله تعالى يصف الجنة التى أعدت للمتقين بأنها دار المقامة ، فمن دخلها أقام بها ولم يقم بالجنة التى دخلها ، ووصفها بأنها جنة الخلد وآدم لم يخلد فيها ، ووصفها بأنها دار ثواب وجزاء لا دار تكليف وأمر ونهى ، ووصفها بأنها دار سلامة مطلقة لا دار ابتلاء وامتحان ، وقد ابتُلى آدم فيها بأعظم الابتلاء ، ووصفها بإنها ليست دار خوف ولا حزن ، وقد حصل للأبوين فيها من الخوف والحزن ما حصل ، وسماها دار السلام ولم يسلم فيها الأبوان من الفتنة ، ودار القرار ولم يستقرا فيها ، وقال فى داخليها : ﴿ **وماهم منها بمخرجين** ﴾[1] وقد أخرج منها الأبوان وقال : ﴿ **لايمسهم فيها نصب** ﴾

وقد بدا فيها آدم هارباً فاراً ، وطفق يخصف من ورق الجنة على نفسه ، وهذا النصب بعينه ، وأخبر أنه لالغو فيها ولاتأثيم ، وقد سمع فيها آدم عليه السلام كذب إبليس ، وقد سماها سبحانه وتعالى مقعد صدق ، وقد كذب فيها إبليس وحلف على كذبه .

* قالوا : ولو كان آدم أسكن جنة الخلد وهى دار القدس التى لا يسكنها إلا طاهر مقدس ، فكيف توصل إليها الرجس النجس المذموم المدحور حتى فتن فيها آدم عليه السلام ووسوس له ؟ وهذه الوسوسة إما أن تكون فى قلبه ، وإما أن تكون فى أذنه ، وعلى التقدير فكيف توصل اللعين إلى دخول دار المتقين ؟ وأيضاً فبعد أن قيل له : اهبط فيها فما يكون لك أن تتكبر فيها ، أيفسح له أن يرقى إلى جنة المأوى فوق السماء السابعة بعد السخط عليه والإبعاد له . الزجر والطرد بعتوه واستكباره ؟ وهل هذا يلائم قوله تعالى : ﴿ **فما يكون لك أن تتكبر**

---

(١) سورة الحجر : آية ٤٨ .

فيها ﴾ ؟ فإن كانت مخاطبته لآدم بما خاطبه به وقاسمه عليه ليست تكبراً فما التكبر بعد هذا ؟

* فإن قلتم : فلعل وسوسته وصلت إلى الأبوين وهو فى الأرض . وهما فوق السماء فى عليين ، فهذا غير معقول لغة ولا حساً ولا عرفاً . وإن زعمتم أنه دخل فى بطن الحية حتى أوصل إليهما الوسوسة فأبطل وأبطل ، إذ كيف يرتقي بعد الإهباط إلى أن يدخل الجنة ولو فى بطن الحية ؟

* وإن قلتم : إنه دخل فى قلوبهما ووسوس لهما . فالمحذور قائم ، وأيضاً فإن الله سبحانه وتعالى حكى مخاطبته لهما كلاماً سمعاه شفاهاً فقال : ﴿ **ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة** ﴾[1] وهذا دليل على مشاهدته لهما والشجرة ، ولما كان آدم خارجاً من الجنة وغير ساكن فيها قال الله تعالى له : ﴿ **ألم أنْهَكُمَا عن تلكما الشجرة** ﴾[2] . ولم يقل عن هذه الشجرة ، فعندما قال لهما ﴿ **ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة** ﴾ لما أطمعهما فى ملكها ، والخلود فى مقرها أتى باسم الإشارة بلفظ الحضور له . وإحضاراً لها عندهما ، وربهما تعالى قال لهما : ألم أنهكما عن تلكما الشجرة ؟ . ولما أراد إخراجهما منها ، فأتى باسم الإشارة بلفظ البعد والغيبة ، كأنهما لم يبق لهما من الجنة حتى ولا مشاهدة الشجرة التى نهيا عنها ، وأيضاً فإنه سبحانه قال : ﴿ **إليه يصعد الكلم الطيب** ﴾[3] ، ووسوسة العين من أخبث الكلم فلا تصعد إلى محل القدس .

العلّامة ابن القيم يفصل فى مسألة جنة آدم :

يرد العلامة ابن القيم على الطائفتين ويناقشهما ليفصل فى المسألة فيقول فى حادى الأرواح[4] :

* وأما استدلالكم بحديث أبى هريرة رضى الله عنه ، وقول آدم « وهل أخرجكم منها إلا خطيئة أبيكم » فإنما يدل على تأخر آدم عليه السلام من الاستقباح للخطيئة التى قد تقدمت فيه فى دار الدنيا ، وأنه بسبب تلك الخطيئة حصل له الخروج من الجنة كما فى اللفظ الآخر : إنى نهيت عن أكل الشجرة فأكلت منها ، فأين فى هذا مايدل على أنها جنة المأوى بمطابقة أو تضمن أو

---

(١) سورة الأعراف : آية ٢٠ .
(٢) سورة الأعراف : آية ٢٢ .
(٣) سورة فاطر : آية ١٠ .
(٤) طبع بمكتبة القرآن .

استلزام ؟ وكذلك قول موسى له : أخرجتنا ونفسك من الجنة ، فإنه لم يقل له : أخرجتنا من جنة الخلد .

* وأما استدلالكم بقوله تعالى : ﴿ **وقلنا اهبطوا** ﴾ عقيب إخراجهم من الجنة فلفظ الهبوط لايستلزم النزول من السماء إلى الأرض غايته أن يدل على النزول من مكان عالٍ إلى أسفل منه وهذا غير منكر ، فإنها كانت فى جنة فى أعلى الأرض فأهبطوا منها جميعاً .

والأمر كان لآدم وزوجه وعدوهما ، فلو كانت الجنة فى السماء ماكان عدوهما متمكناً منها بعد إهباطه الأول لما أبى السجود لآدم عليه السلام ، فالآية أيضاً من أظهر الحجج عليكم ، ولاتغنى عنكم وجوه التعسفات ، والتكلفات التى قدرتموها .

* وأما قوله تعالى : ﴿ **ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين** ﴾[1] ، فهذا لا يدل على أنهم لم يكونوا قبل ذلك فى الأرض ، فإن الأرض اسم جنس وكانوا فى أعلاها وأطيبها وأفضلها فى محل لا يدركهم فيه جوع ولا عرى ولا ظمأ ولا ضحى ، فأهبطوا إلى أرض يعرض فيها ذلك كله ، وفيها حياتهم وموتهم وخروجهم من القبور ، والجنة التى أسكناها لم تكن دار نصب ولا تعب ولا أذى ، والأرض التى أهبطوا إليها هى محل التعب والنصب والأذى وأنواع المكاره .

* وأما قولكم : إنه سبحانه وتعالى وصفها بصفات لاتكون فى الدنيا ، فجوابه أن تلك الصفات لاتكون فى الأرض التى أهبطوا فيها ، وأما قولكم : إن آدم عليه السلام كان يعلم أن الدنيا منقضية فانية . فلو كانت الجنة فيها لعُلِمَ كذب إبليس فى قوله : ﴿ **هل أدلك على شجرة الخلد** ﴾[2] فجوابه من وجهين :

أحدهما : أن اللفظ إنما يدل على الخلد وهو أعم من الدوام الذى لا انقطاع له . فإنه فى اللغة : المكث الطويل ومكث كل شيء بحسبه . ومنه قولهم : رجل مُخلَّد إذا أسن وكبر . ومنه قولهم لأثافى[3] الصخور : خوالد لطول بقائها بعد دروس الأطلال . قال :

---

(١) البقرة : ٣٦ .

(٢) سورة طه : آية ١٢٠ .

(٣) الأثافى : مايوضع عليه القدر : أى الصخر الصلد .

إلا رماداً هامـداً دفـعت عنه الرياح خوالد سحم[1]

ونظير هذا إطلاقهم القديم على ما تقادم عهده . وإن كان أول ، كما قال تعالى : ﴿ **كالعرجون القديم** ﴾[2] ، ﴿ **إنك لفى ضلالك القديم** ﴾[3] ، ﴿ **هذا إفك قديم** ﴾[4] وقد أطلق تعالى الخلود فى النار على عذاب بعض العصاة ، كقاتل النفس ، وأطلقه النبى ﷺ على قاتل نفسه .

الوجه الثانى : أن العلم بانقطاع الدنيا ومجىء الآخرة إنما يوحى بالوحى ، ولم يتقدم لآدم عليه الصلاة والسلام نبوة يعلم بها ذلك ، وهو وإن نبأه الله سبحانه وتعالى وأوحى إليه وأنزل عليه منها صحفاً كما فى حديث أبى ذر ، لكن هذا بَعْدَ إهباطه إلى الأرض بنص القرآن قال تعالى : ﴿ **قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو ، فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى** ﴾[5] ، وكذلك فى سورة البقرة : ﴿ **قلنا اهبطوا منها جميعاً فإما يأتينكم مِنّى هدى ..** ﴾[6] .

* * * *

ـ رأى الشيخ الشبلى فى المسألة :

تعرض الشيخ القاضى بدر الدين أبو عبد الله بن محمد بن عبد الله الشبلى فى كتابه غرائب وعجائب الجن[7] لهذه المسألة وعرض فيها الآراء ورجَّحَ أنها جنة تختلف عن الجنة التى أعدها الله للمؤمنين .

رأى بعض العلماء :

ومنهم من يرى أنها جنة أخرى غير التى أعدها للمؤمنين ، لأنه لا يعقل أن يؤتى بهما فى الجنة .. للأسباب الواردة .

ومنهم الشيخ عبد الوهاب النجار صاحب « قصص الأنبياء » والشيخ محمد متولى الشعراوى ..

---

(١) سحم : سود .
(٢) سورة يس : آية ٣٩ .
(٣) سورة يوسف : آية ٩٥ .
(٤) سورة الأحقاف : آية ١١ .
(٥) سورة طه : آية ١٢٣ .
(٦) سورة البقرة : آية ٣٨ .
(٧) من إصدار مكتبة القرآن .

الباب الثانى

الطـــريق إلى الجنـــة

أعد الله سبحانه وتعالى لعباده الصالحين فى الجنة نعيماً مقيماً يفوق تصوراتنا وتقديراتنا ، ويتعدى تمنياتنا وتوقعاتنا ، فيها ماتشتهى الأنفس وتلذ الأعين . تكرماً منه وتفضلاً وتعطفاً على عباده المتقين .

قال تعالى : ﴿ **وسارعوا إلى مغفرة من ربكم ، وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين . الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين . والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون . أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين** ﴾(١) .

وقال تعالى : ﴿ **والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعدلهم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم** ﴾(٢) .

وقال تعالى : ﴿ **إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . أولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم** ﴾(٣) .

وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة « أن أعرابياً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله ؛ دلنى على عمل إذا عملته دخلت الجنة ، فقال : « **أن تعبد الله ولاتشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان . قال : والذى نفسى بيده لاأزيد على هذا شيئاً أبداً ولاأنقص منه . فلما ولى قال : من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا** » .

---

(١) سورة آل عمران : الآيات ١٣٣ – ١٣٦

(٢) سورة التوبة : آية ١٠٠ .

(٣) سورة الأنفال : الآيات ٢ – ٤ .

وفى الصحيحين أيضاً من حديث عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله ﷺ : « **من قال أشهد أن لا اله إلا الله وحده لاشريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد الله ورسوله ، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه . وأن الجنة حق ، وأن النار حق ، أدخله الله من أى أبواب الجنة الثمانية شاء** » .

وفى صحيح مسلم عن جابر قال : « أتى النعمان بن قوقل إلى رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله أرأيت إذا صليت المكتوبة وحرمت الحرام وأحللت الحلال . أدخل الجنة ؟ فقال النبى ﷺ : نعم » .

وفى الصحيحين عن أبى ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **أتانى آت من ربى فأخبرنى أو قال فبشرنى أنه من مات من أمتك لايشرك بالله شيئاً دخل الجنة . قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : وإن زنى وإن سرق** » .

وفى صحيح مسلم عن عثمان بن عفان قال : قال رسول الله ﷺ : « **من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة** » .

وفى صحيح مسلم أيضاً : « أن رسول الله ﷺ أعطى أبا هريرة نعليه فقال : اذهب بنعلى هاتين ، فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه . فبشره بالجنة » .

وفى سنن أبى داود عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : « **سمعت رسول الله ﷺ يقول : من كان آخر كلامه : لا إله إلا الله ، دخل الجنة** » .

وفى الصحيحين من حديث حارثة بن وهب قال : سمعت النبى ﷺ يقول : « **ألا أخبركم بأهل الجنة ، كل ضعيف متضعف[1] لو أقسم على الله لأبره[2] ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل عتل جواظ[3] متكبر** » .

وروى الإمام أحمد فى مسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبى ﷺ قال : « **إن أهل النار كل جعظرى[4] جواظ متكبر جماع مناع ، وأهل الجنة**

(١) المتضعف : الذى يتضعفه الناس ويتجبرون عليه فى الدنيا لفقره .

(٢) أى صدقه فى قسمه .

(٣) العتل : هو الفظ الغليظ القلب والجواظ : الضخم المختال فى مشيته والجَمُوعُ المَنُوع .

(٤) الجعظرى : الفظ الغليظ المتكبر .

الضعفاء المغلوبون » .

وفى سنن ابن ماجه عن ابن عباس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **« إن أهل الجنة من ملأ أذنيه من ثناء الناس خيراً وهو يسمع ، وأهل النار من ملأ أذنيه من ثناء الناس شراً وهو يسمع »** .

وفى صحيح مسلم من حديث عياض المجاشعى أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم فى خطبته : **« ألا إن ربى أمرنى أن أعلمكم ما جهلتم مما علمنى من يومى هذا . كل مال نحلته عبداً حلال . وإنى خلقت عبادى حنفاء كلهم وأنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم[1] فحرمت عليهم ماأحللت لهم . وأمرتهم أن يشركوا بى مالم أنزل به سلطاناً . وأن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب . وقال : إنما بعثتك لأبتليك وأبتلى بك . وأنزلت عليك كتاباً لايغسله الماء تقرؤه نائماً ويقظان . وإن الله أمرنى أن أحرق قريشاً فقلت : رب إذا يثلغوا رأسى[2] فيدعوه خبزة ، قال استخرجهم كما أخرجوك واغزهم نغزك[3] ، وأنفق فسينفق عليك وابعث جيشاً نبعث خمسة مثله ، وقاتل بمن أطاعك من عصاك ، وقال : وأهل الجنة ثلاثة : ذو سلطان مقسط متصدق موفق ، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذى قربى ومسلم ، وعفيف متعفف ذو عيال ، وأهل النار خمسة : الضعيف الذى لازَبْرَ[4] له الذين هم فيكم تبعاً لايبغون أهلاً ولا مالاً ، والخائن الذى لايخفى له طمع وإن دق إلا خانه . ورجل لايصبح ولايمسى إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك ، وذكر البخل . والشنظير الفحاش[5] وأن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لايفخر أحد . ولايبغى أحد على أحد »** .

* * * *

---

(١) اجتالتهم : أى استخفتهم فجالوا معهم فى الضلال .

(٢) أى : يشدخوه ويشجوه كما يشدخ خبز ويكسر .

(٣) نعنْك .

(٤) لازبْر له : لاعقل له ينهاه ويزجره .

(٥) الشنظير الفحاش : السيىء الخلق .

◻ مايقـــرب إلى الجنـــــة

* أوضح الحق سبحانه وتعالى الطريق إلى الجنة ورسمه لعباده وبينه لهم ورغبهم فى سلوكه والسير عليه .. فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ **يـأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليمٍ ، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم ، وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين** ﴾[١] .

* فالمؤمن الذى يريد أن يتقرب إلى الجنة عليه باتباع منهج الله والسير عليه . وفعل كل معروف ولو كان صغيراً ، والبعد عن كل شر ولو كان حقيراً ..

* وسنعرض بعون الله لبعض منازل الإيمان ليعلمها المؤمنون عَلَّنا بالتعرض لبعض منازله نشتاق للوصول إليه والتجارة مع الله التى تؤدى إلى الجنة .

التـــوبة :

قال تعالى : ﴿ **ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون** ﴾[٢] ..

وقال صاحب (مدارج السالكين) : التوبة أول المنازل ، وأوسطها ، وآخرها ، فلا يفارقه العبد السالك ، ولا يزال فيه إلى الممات . وإن ارتحل إلى منزل آخر ارتحل به ، واستصحبه معه ونزل به . فالتوبة هى بداية العبد ونهايته ، وحاجته إليها فى النهاية ضرورية كما أن حاجته إليها فى البداية كذلك . وقد قال الله تعالى ﴿ **وتوبوا إلى الله جميعاً أيُه المؤمنون لعلكم تفلحون** ﴾[٣] وهذه الآية مدنية ، خاطب الله بها أهل الإيمان وخيار خلقه أن يتوبوا إليه ، بعد إيمانهم وصبرهم ، وهجرتهم وجهادهم ، ثم علق الفلاح بالتوبة تعليق المسبب لسببه ، وأتى بأداة (لعل) المشعرة بالترجى ، إيذاناً بأنكم إذا تبتم على رجاء الفلاح ، فلا يرجو الفلاح إلا التائبون . جعلنا الله منهم .

---

(١) سورة الصف : الآيات ١٠ – ١٣ .

(٢) سورة الحجرات : الآية ١١ .

(٣) سورة النور : الآية ٣١ .

وفى آية : ﴿ **ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون** ﴾ قسم العباد إلى تائب وظالم ، وما ثم قسم ثالث ألبتة ، وأوقع اسم (الظالم) على من لم يتب . ولا ظلم منه لجهله بربه وبحقه ، وبعيب نفسه وآفات أعماله .

وفى الصحيح عنه ﷺ أنه قال « **يأيها الناس ، توبوا إلى الله ، فوالله إنى لأتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة** » ا . هـ وكان أصحابه يعدون فى المجلس الواحد قبل أن يقوم (رب اغفر لى وتب على إنك أنت التواب الغفور مائة مرة) وما صلى صلاة قط بعد إذ أنزلت عليه ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح** ﴾ إلى آخرها . إلا قال فيها « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك : اللهم اغفر لى » وصح عنه ﷺ أنه قال « **لن ينجى أحداً منكم عمله . قالوا : ولا أنت يارسول الله ؟ قال : ولا أنا . إلا أن يتغمدنى الله برحمة منه وفضل** » .

ولما كانت التوبة هى رجوع العبد إلى الله ، ومفارقته لصراط المغضوب عليهم ولا الضالين ، وذلك لا يحصل إلا بهداية الله إلى الصراط المستقيم ، ولا تحصل هدايته إلا بإعانته وتوحيده ، فقد انتظمتها سورة الفاتحة أحسن انتظام ، وتضمنتها أبلغ تضمن . فمن أعطى الفاتحة حقها ــ علماً وشهوداً وحالاً ومعرفة ــ علم أنه لا تصح له قراءتها على العبودية إلا بالتوبة النصوح .

فإن الهداية التامة إلى الصراط المستقيم لا تكون مع الجهل بالذنوب ، ولا مع الإصرار عليها ، فإن الأول جهل ينافى معرفة الهدى ، والثانى غى ينافى قصده وإرادته ، فلذلك لا تصح التوبة إلا بعد معرفة الذنب ، والاعتراف به وطلب التخلص من سوء عواقبه أولاً وآخراً .

* * * *

قال صاحب المنازل « **وهى أن تنظر فى الذنب إلى ثلاثة أشياء : إلى انخلاعك من العصمة حين إيتائه ، وفرحك عند الظفر به ، وقعودك على الإصرار عن تداركه مع تيقنك نظر الحق إليك** » ا . هـ .

* * * *

قال العلماء : « حقيقة التوبة : الرجوع إلى الله . ولا يصح الرجوع ويتم إلا بمعرفة الرب بأسمائه وصفاته وآثارها فى نفسه وفى الآفاق ، ومعرفة إن كان فاراً من نفسه ، أسيراً فى قبضة عدوه ، وأنه ماوقع فى مخالف عدوه إلا بسبب جهله بربه ، وجرأته عليه : فلا بد أن يعرف كيف جهل ؟ ومتى جهل ؟ وكيف وقع أسيراً ؟ ومتى وقع ؟ ويؤمن أن التوبة إنما هى عملية شاقة بمجهود كبير ، ويقظة تامة للتخلص من العدو والرجوع والفرار إلى الله ربه الرحمن الرحيم ، والعود من طريق الهلاك الذى أخذه عدوه إليه ، ومعرفة مقدار الخطوات التى بَعُد بها عن ربه ، والمجهود والعقبات التى لا بد من الحرص على اقتحامها للعود إلى صراط الله المستقيم » ا. هـ .

* * * *

١ ـ أسرار حقيقة التوبة :

قال صاحب (منازل السائرين) :

« وسرائر حقيقة التوبة ثلاثة أشياء : تمييز التوبة من العزة، ونسيان الجناية ، والتوبة من التوبة » ا. هـ .

قال ابن القيم معلقاً وشارحاً :

تمييز التوبة من العزة : أن يكون المقصود من التوبة تقوى الله ، وهو خوفه وخشيته ، والقيام بأمره ، واجتناب نهيه ، فيعمل بطاعة الله على نور من الله يرجو ثواب الله ، ويترك معصية الله على نور من الله ، يخاف عقاب الله لا يريد بذلك عز الطاعة . فإن للطاعة وللتوبة عزاً ظاهراً ، وباطناً فلا يكون مقصوده العزة . وإن علم أنها تحصل له بالطاعة والتوبة . فمن تاب لأجل العزة فتوبته مدخولة .

وفى بعض الآثار : أوصى الله إلى نبى من الأنبياء : قل لفلان الزاهد : أما زهدك فى الدنيا : فقد تعجلت به الراحة . وأما انقطاعك إلى : فقد اكتسبت به العزة ولكن ماعملت فيما لى عليك ؟ قال : يارب ، ومالك على بعد هذا ؟ قال هل واليت فىّ ولياً ، أو عاديت فى عدواً ؟ » .

يعنى أن الراحة والعز حظك ، وقد نلتهما بالزهد والعبادة ، ولكن أين القيام

بحقي ، وهو الموالاة فيّ والمعاداة فيّ ؟

فالشأن فى التفريق بين حقك وحق ربك علماً وحالاً ، وكثير من الصادقين قد يلتبس عليهم حال نفوسهم فى ذلك ، ولايميزه إلا أولوا البصائر منهم ، وهم فى الصادقين كالصادقين فى الناس .

*** * * ***

وأما **نسيان الجناية** : فهذا موضع تفصيل ، فقد اختلف فيه أرباب الطريق ، فمنهم : من رأى الاشتغال عن ذكر الذنب والإعراض عنه صفحاً ، فصفاء الوقت مع الله تعالى أولى بالتائب وأنفع له . ولهذا قيل : « ذكر الجفا فى وقت الصفا جفا » . ومنهم : من رأى أن الأولى أن لاينسى ذنبه . بل لا يزال جاعلاً له نصب عينيه يلاحظه كل وقت . فيحدث له ذلك انكساراً وذلاً وخضوعاً ، أنفع له من جمعيته وصفاء وقته . قالوا : ولهذا نقش داود الخطيئة فى كفه . وكان ينظر إليها ويبكى .

قالوا : ومتى تهت عن الطريق فارجع إلى ذنبك تجد الطريق .

ومعنى ذلك : أنك إذا رجعت إلى ذنبك انكسرت وذللت ، وأطرقت بين يدى الله عز وجل ، خاشعاً ذليلاً خائفاً ، وهذه طريق العبودية .

والصواب : التفصيل فى هذه المسألة : وهو أن يقال : إذا أحسَّ العبد من نفسه حال الصفاء غَيْما من الدعوى ، ودقيقة من العجب ونسيان المِنَّة ، وخطفته نفسه عن حقيقة فقره ونقصه ، فذكر الذنب أنفع له ، وإن كان فى حال مشاهدته مِنَّةَ الله عليه ، وكمال افتقاره إليه ، وفنائه به ، وعدم استغنائه عنه فى ذرة من ذراته ، وقد خالط قلبه حال المحبة ، والفرح بالله ، والأنس به ، والشوق إلى لقائه ، وشهود سعة رحمته وحلمه وعفوه ، وقد أشرقت على قلبه أنوار الأسماء والصفات ، فنسيان الجناية والإعراض عن الذنب : أولى به وأنفع ، فإنه متى رجع إلى ذكر الجناية توارى عنه ذلك ، ونزل من علو إلى أسفل ، ومن حال إلى حال ، بينهما من التفاوت أبعد مما بين السماء والأرض ، وهذا من حسد الشيطان له ، أراد أن يحطه عن مقامه ، وسير قلبه فى ميادين المعرفة والمحبة ، والشوق : إلى وحشة الإساءة ، وحصر الجناية والأول يكون شهوده لجنايته مِنَّةً من الله ، من بها

عليه ، ليؤمنه بها من مقت الدعوى ، وحجاب الكبر الخفي الذى لايشعر به فهذا لون وهذا لون .

وأما التوبة من التوبة : فهى من المجملات التى يراد بها حق وباطل ، ويكون مراد التكلم بها حقاً ، فيطلقه من غير تمييز .

فإن التوبة مِنْ أعظم الحسنات ، والتوبة من الحسنات من أعظم السيئات ، وأقبح الجنايات ، بل هى كفر ، إن أخذت على ظاهرها ، ولا فرق بين التوبة من التوبة والتوبة من الإسلام والإيمان ، فهل يسوغ أن يقال بالتوبة من الإيمان ؟

لكن مرادهم : أن يتوب من رؤية التوبة ، فإنها إنما حصلت له بمنة الله ومشيئته ، ولو خلى ونفسه لم تسمح بها ألبتة ، فإذا رآها وشهد صدورها منه ووقوعها به وغفل عن منة الله عليه : تاب من هذه الرؤية والغفلة ، ولكن هذه الرؤية والغفلة ليست هى التوبة ، ولا جزءًا منها ، ولا شرطاً لها . بل جناية توبته من تأخير التوبة ، وقل أن تخطر هذه ببال التائب ، بل عنده : أنه إذا تاب من الذنب لم يبق عليه شيء آخر ، وقد بقي عليه التوبة من تأخير التوجه ، ولا ينجى من هذا إلا توبة عامة ، مما يعلم من ذنوبه ، ومالا يعلم ، فإن مالا يعلمه العبد من ذنوبه أكثر مما يعلم ، ولا ينفعه فى عدم المؤاخذة بها جهله إذا كان متمكناً من العلم ، فإنه عاص بترك العلم والعمل ، والمعصية فى حقه أشد .

وفى صحيح ابن حبان : أن النبى ﷺ قال : « **الشرك فى هذه الأمة أخفي من دبيب النمل ، فقال أبو بكر ، فكيف الخلاص منه يارسول الله ؟ قال : أن تقول : اللهم إنى أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم ، واستغفرك لما لا أعلم** » .

هـ . فهذا طلب الاستغفار مما يعلمه الله أنه ذنب ؟ ولا يعلمه العبد .

* * * *

٢ـ هل تصح التوبة من ذنب مع الإصرار على غيره ؟

* قال ابن القيم :

التوبة لا تصح من ذنب مع الإصرار على آخر من نوعه ؟ وأما التوبة من ذنب ، مع مباشرة آخر لا تعلق له به ، ولا هو من نوعه : فتصح ، كما إذا تاب من الربا ، ولم يتب من شرب خمر مثلاً . فإن توبته من الربا صحيحة ، وأما إذا تاب

من ربا الفضل ، ولم يتب من ربا النسيئة وأصر عليه أو بالعكس ، أو تاب من تناول الحشيشة وأصر على شرب الخمر أو بالعكس فهذا لاتصح توبته ، وهو كمن يتوب عن الزنا بامرأة ، وهو مصر على الزنا بغيرها غير تائب منها ، أو تاب من شرب عصير العنب المسكر ، وهو مصر على شرب غيره من الأشربة المسكرة ، فهذا فى الحقيقة لم يتب من الذنب ، وإنما عدل عن نوع منه إلى نوع آخر . بخلاف من عدل عن معصية إلى معصية أخرى غيرها فى الجنس ، إما لأن وزرها أخف ، وإما لغلبة دواعى الطبع إليها ، وقهر سلطان شهوتها له . وإما لأن أسبابها حاضرة لديه عتيدة لايحتاج إلى استدعائها بخلاف معصية تحتاج إلى استدعاء أسبابها . وإما لا ستحواذ قرنائه وخلطائه عليه . فلا يدعونه يتوب منها . وله بينهم حظوَةٌ بها وجاه . فلا تطاوعه نفسه على إفساد جاهه بالتوبة ، كما قال أبو نواس لأبى العتاهية ،وقد لامه على تهتكه فى المعاصى :

أتــــرانى ياعتاهـــــى تاركـــاً تلك الملاهــــى ؟

أتــــرانى مفسداً بالنُّســـــك عند القــوم جاهــى ؟

* فمثل هذا إذا تاب من قتل النفس ، وسرقة أموال المعصومين ، وأكل أموال اليتامى ، ولم يتب من شرب الخمر والفاحشة : صحت توبته مما تاب منه ، ولم يؤاخذ به ، وبقي مؤخذاً بم هو مصر عليه .. والله أعلم .

* * * *

الرجـــاء :

قال تعالى : ﴿ **أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه** ﴾[1] . فابتغاء الوسيلة إليه : طلب القرب منه بالعبودية والمحبة .

وفى صحيح مسلم عن جابر رضى الله عنه قال :. **سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل موته بثلاث ــ « لايموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه »** ا. هـ ، وفى الصحيح عنه ﷺ يقول الله عز وجل : « **أنا عند حسن ظن عبدى بى فليظن بى ما شاء** » ا. هـ .

(١) سورة الإسراء : الآية ٥٧ .

الرجاء : حَادٍ يحدو القلوب إلى بلاد المحبوب ، وهو الله والدار الآخرة ويطيب لها السير وقيل : هى الاستبشار بجود وفضل الرب تبارك وتعالى .. والارتياح لمطالعة كرمه سبحانه .

وقيل : هو الثقة بجود الرب تعالى .

* الفرق بين الرجاء والتمنى :

والفرق بينه وبين التمنى أن التمنى يكون مع الكسل .. ولا يسلك بصاحبه طريق الجِدَّ والاجتهاد ، والرجاء يكون مع بذل الجهد وحسن التوكل .

فالأول : كحال من يتمنى أن يكون له أرض يبذرها ويأخذ زرعها .

والثانى : كحال من يشق أرضه ويفلحها ويبذرها ، ويرجو طلوع الزرع ولهذا أجمع العارفون على أن الرجاء لا يصح إلا مع العمل .

قال الكرمانى : علامة صحة الرجاء : حسن الطاعة .

والرجاء ثلاثة أنواع : نوعان محمودان ونوع غرور مذموم .

فالأولان : رجاء رجل عمل بطاعة الله على نور من الله ، فهو راج لثوابه ورجل أذنب ذنوباً ثم تاب منها ، فهو راج لمغفرة الله تعالى وعفوه وإحسانه وجوده وحلمه وكرمه .

والثالث : رجل متماد فى التفريط والخطايا يرجو رحمة الله بلا عمل ، فهذا هو الغرور والتمنى والرجاء الكاذب .

وللسالك نظران : نظر إلى نفسه وعيوبه وآفات عمله ، يفتح عليه باب الخوف من عقاب الله وعذابه ونظر يفتح عليه باب الرجاء إلى سعة فضل الله وكرمه وبره ولهذا قيل فى حد (الرجاء) : هو النظر إلى سعة رحمة الله .

وقال أبو على الروذبارى : الخوف والرجاء كجناحى الطائر إذا استويا استوى الطير وتم طيرانه ، وإذا نقص أحدهما وقع فيه نقص ، وإذا ذهبا صار الطائر فى حد الموت . وسئل أحمد بن عاصم : ماعلامة الرجاء فى العبد ؟ فقال : أن يكون إذا أحاط به الإحسان ألهم الشكر ، راجياً لتمام النعمة من الله عليه فى الدنيا والآخرة ، وتمام عفوه عنه فى الآخرة .

واختلفوا : أى الرجاءين أكمل : رجاء المحسن ثواب إحسانه ، أو رجاء

المسيء التائب مغفرة ربه وعفوه ؟

فطائفة رجَّحت رجاء المحسن ، لقوة أسباب الرجاء معه ، وطائفة رجحت رجاء المذنب ، لأن رجاءه مجرد عن علة رؤية العمل ، مقرون بذلة رؤية الذنب .

قال يحي بن معاذ :

يكاد رجائى لك مع الذنوب يغلب رجائى لك مع الأعمال لأنى أجدنى أعتمد فى الأعمال على الإخلاص ، وكيف أصفيها وأحرزها وأنا بالآفات معروف ؟ وأجدنى فى الذنوب أعتمد على عفوك ، وكيف لاتغفرها وأنت بالجود موصوف ؟ وقال أيضاً :

إلهى ، أحلى العطايا فى قلبى رجاؤك ، وأعذب الكلام على لسانى ثناؤك وأحب الساعات إلى ساعة يكون فيها لقاؤك .

وصدق القائل :

لولا التعلق بالرجـاء تقطـعت ... نفس المحب تحسراً وتمزقـــاً
وكذاك لولا برده بحرارة الأ ... كبـاد ذابت بالحجـاب تحرقـاً
أيكون قط حليف حب لا يرى ... برجائـــه لحبيبـــه متعلقـــاً
أم كلمـــا قويت محبتـــه له ... قوى الرجاء فزاد فيه تشوقـاً
لولا الرجاء يحدو المطى لما سرت ... بِحُمولها لديارهم ترجو اللقـا

ولله در ابن القيم إذ يقول :

فالرجاء ضرورى للمريد السالك ، والعارف لوفارقه لحظة لتلف أو كاد . فإنه دائر بين ذنب يرجو غفرانه ، وعيب يرجو إصلاحه ، وعمل صالح يرجو قبوله ، واستقامة يرجو حصولها ودوامها ، وقرب من الله ومنزلة عنده يرجو وصوله إليها .

وقال أيضا :

إن العبد إذا تعلق قلبه برجاء ربه ، فأعطاه مارجاه ، كان ذلك ألطف موقعاً ، وأحلى عند العبد ، وأبلغ من حصول مالم يرجه ، وهذا أحد الأسباب والحكم فى جعل المؤمنين بين الرجاء والخوف فى هذه الدار ، فعلى قدر رجائهم وخوفهم يكون فرحهم فى القيامة بحصول مرجوهم واندفاع مخوفهم .

الشـــكر :

أمر الله بالشكر ، ونهى عن ضده ، وأثنى على أهله ، ووصف به خواص خلقه ، وجعله غايته من خلقه ، ووعد أهله بأحسن جزائه ، وجعله سبباً للمزيد من فضله ، وحارساً وحافظاً لنعمته ، وأخبر أن أهله هم المنتفعون بآياته ، واشتق له منه اسماً من أسمائه ، فإنه سبحانه هو (الشكور) وهو يوصل الشاكر إلى مشكوره بل يعيد الشاكر مشكوراً ، وهو غاية الرب من عبده ، وأهله هم القليل من عباده .

قال تعالى ﴿ **واشكروا لله إن كُنتم إياه تعبدون** ﴾[1] وقال : ﴿ **واشكروا لى ولا تكفرون** ﴾[2] .

ـــ وفى الصحيحين عن النبى ﷺ : « **أنه قام حتى تورمت قدماه ، فقيل له : تفعل هذا وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال : أفلا أكون عبداً شكوراً** » ا. هـ .

ـــ وقال ﷺ لمعاذ : « **والله يامعاذ ، إنى لأحبك ، فلا تنس أن تقول دبر كل صلاة : اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك** » ا. هـ .

ـــ وفى مسند الإمام أحمد وجامع الترمذى من حديث ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ : « كان يدعو بهؤلاء الكلمات : **اللهم أعنى ولا تعن على ، وانصرنى ولا تنصر على ، وامكر لى ، ولا تمكر بى ، واهدنى ويسر الهدى لى . وانصرنى على من بغى على .. رب اجعلنى لك ، شكّاراً لك ، ذكاراً لك ، رهاباً لك ، مطاوعاً لك ، مخبتاً إليك ، أواها منيباً ، رب تقبل توبتى ، واغسل حوبتى ، وأجب دعوتى ، وثبت حجتى ، واهد قلبى ، وسدد لسانى ، واسلل سخيمة[3] صدرى** » ا. هـ .

أصـل الشـكر :

ـــ وأصل الشكر فى وضع اللسان : ظهور أثر الغذاء فى أبدان الحيوان ظهوراً بينا ، يقال شكرت الدابة تشكر شكراً على وزن سمنت تسمن سمناً : إذا ظهر

(١) سورة البقرة : الآية ١٧٢ . (٢) سورة البقرة : الآية ١٥٢ .

(٣) سخيمة : سواد ، والسخام بالضم سواد القدر ، والمراد ، أذهب عنى ماران على صدرى والله أعلم .

عليها أثر العلف ، ودابة شكور : إذا ظهر عليها من السمن فوق ما تأكل وتعطى من العلف .

ـــ وفى صحيح مسلم : « **حتى إن الدواب لتشكر من لحومهم** » أى لتسمن من كثرة ماتأكل منها » ا. هـ .

ـــ وكذلك حقيقته فى العبودية وهو ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده : ثناء واعترافاً ، وعلى قلبه شهوداً ومحبة ، وعلى جوارحه : انقياداً وطاعة .

والشكر : مبنى على خمس قواعد : خضوع الشاكر للمشكور ، وحبه له ، واعترافه بنعمته ، وثناؤه عليه بها ، وأنه لا يستعملها فيما يكره .

فهذه الخمس : هى أساس الشكر ، وبناؤه عليها ، فمتى عدم منها واحدة اختل من قواعد الشكر قاعدة .

وكل من تكلم فى الشكر وحَدِّه ، فكلامه إليها يرجع ، وعليها يدور .

فقيل : حده الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع .

وقيل : هو عكوف القلب على محبة المنعم ، والجوارح على طاعته وجريان اللسان بذكره ، والثناء عليه .

وقيل : شكر النعمة أن ترى نفسك فيها طفيلياً .

وقيل : الشكر معرفة العجز عن الشكر .

وقيل : الشكر إضافة النعم إلى موليها بنعت الاستكانة له .

وقيل : الشكر أن لا ترى نفسك أهلاً للنعمة .

وقيل : استفراغ الطاقة .

وقيل : الشكر رؤية المنعم لا رؤية النعمة .

الفرق بين الشكر والحمد :

*** قال العلماء :**

وتكلم الناس فى الفرق بين الحمد والشكر ، أيهما أعلى وأفضل ؟ وفى الحديث « **الحمد رأس الشكر ، من لم يحمد الله لم يشكره** » .

والفرق بينهما : أن الشكر أعم من جهة أنواعه وأسبابه ، وأخص من جهة

متعلقاته . والحمد أعم من جهة المتعلقات ، وأخص من جهة الأسباب .

ومعنى هذا : أن الشكر يكون : بالقلب خضوعاً واستكانة ، وباللسان ثناء واعترافاً ، وبالجوارح طاعة وانقياداً ، ومتعلقه : النعم ، دون الأوصاف الذاتية ، فلا يقال : شكرنا الله على حياته وسمعه وبصره وعلمه ، وهو المحمود عليها ، كما هو محمود على إحسانه وعدله ، والشكر يكون على الإحسان والنعم .

فكل ما يتعلق به الشكر يتعلق به الحمد من غير عكس ، وكل ما يقع به الحمد يقع به الشكر من غير عكس ، فإن الشكر يقع بالجوارح ، والحمد يقع بالقلب واللسان .

درجـات الشـكر :

١ ــ الدرجة الأولى : الشكر على المَحَابِّ .

قال صاحب « منازل السائرين » وهذا شكر تشاركت فيه المسلمون واليهود والنصارى والمجوس ، ومن سعة رحمة البارى سبحانه أن عده شكراً ، ووعد عليه الزيادة ، وأوجب فيه المثوبة .

قال ابن القيم معلقاً وشارحاً :

« إذا علمت حقيقة الشكر ، وأن جزء حقيقته : الاستعانة بنعم المنعم على طاعته ومرضاته ــ علمت اختصاص أهل الإسلام بهذه الدرجة ، وأن حقيقة الشكر على المحاب ليست لغيرهم نعم لغيرهم منها بعض أركانها وأجزائها ، كالاعتراف بالنعمة ، والثناء على المنعم بها ، فإن جميع الخلق فى نعم الله ، وكل من أَقَرَّ بالله ربا . وتَفَرُّدِه بالخلق والإحسان ، فإنه يضيف نعمته إليه ، لكن الشأن فى تمام حقيقة الشكر هو الاستعانة بها على مرضاته . وقد كتبت عائشة رضى الله عنها إلى معاوية رضى الله عنه « إن أقل ما يجب للمنعم على من أنعم عليه : أن لا يجعل ماأنعم عليه به سبيلاً إلى معصيته » .

وقد عرف مراد الشيخ ــ يشير إلى صاحب المنازل ــ وهو أن هذا الشكر مشترك ، وهو الاعتراف بنعمه سبحانه ، والثناء عليه بها ، والإحسان إلى خلقه منها ، وهذا بلاشك يوجب حفظها عليهم والمزيد منها . فهذا الجزء من الشكر مشترك . وقد تكون ثمرته فى الدنيا بعاجل الثواب ، وفى الآخرة : بتخفيف العقاب . فإن النار دركات فى العقوبة مختلفة .

٢ ـ الدرجة الثانية : الشكر فى المكاره :

والشكر فى المكاره أشد وأصعب من الشكر على المحاب ، ولهذا كان فوقه فى الدرجة ، ولا يكون إلا من أحد رجلين :

أما **الرجل الأول** : فلا يميز بين الحالات ، بل يستوى عنده المكروه والمحبوب ، فشكر هذا : إظهار منه للرضى بما نزل به ، وهذا مقام الرضى .

والرجل الثانى : من يميز بين الأحوال ، فهو لا يحب المكروه ، ولا يرضى بنزوله به ، فإذا نزل به مكروه شكر الله تعالى عليه ، فكان شكره كظما للغيظ الذى أصابه ، وستراً للشكوى ، ورعاية منه للأدب ، وسلوكاً لمسلك العلم ، فإن العلم والأدب يأمران بشكر الله على السراء والضراء ، فهو يسلك بهذا الشكر مسلك العلم ، لأنه شاكر لله شكر من رضى بقضائه ، كحال الذى قبله ، فالذى قبله أرفع منه .

وإنما كان هذا الشاكر أول من يدعى إلى الجنة ، لأنه قابل المكاره ـ التى يقابلها أكثر الناس بالجزع والسخط ، وأوساطهم بالصبر ، وخاصتهم بالرضى ـ فقابلها هو بأعلى من ذلك كله ، وهو الشكر ، فكان أسبقهم دخولاً إلى الجنة وأول من يدعى منهم إليها .

وقسم أهل هذه الدرجة قسمين : سابقين ، ومقربين . بحسب انقسامهم إلى :

١ ـ من يستوى عنده الحالات ، من المكروه والمحبوب ، فلا يؤثر أحدهما على الآخر بل قد فنى بإيثاره ما يرضى له به رَبُّهُ عما يرضاه هو لنفسه .

٢ ـ ومن يؤثر المحبوب ، ولكن إذا نزل به المكروه قابله بالشكر .

٣ ـ الدرجة الثالثة :

قال صاحب (منازل السائرين) : « أن لا يشهد العبد إلا المنعم ، فإن شهد المنعم عبودية استعظم منه النعمة ، وإذا شهده حباً : استحلى منه الشدة . وإذا شهده تفريداً لم يشهد منه نعمة ولا شدة » .

قال العلامة ابن القيم :ـ

هذه الدرجة يستغرق صاحبها بشهود المنعم على النعمة ، فلا يتسع شهوده للمنعم ولغيره .

وقسم اصحابها ثلاثة أقسام : أصحاب شهود العبودية ، وأصحاب شهود الحب ، وأصحاب شهود التفريد ، وجعل لكل منهم حكماً هو أولى به .

القسم الأول : فأما شهود العبودية فهو مشاهدة العبد للسيد بحقيقة العبودية والملك له ، فإن العبيد إذا حضروا بين يدى سيدهم ، فإنهم ينسون ماهم فيه من الجاه ، والقرب الذى اختصوا به عن غيرهم باستغراقهم فى أدب العبودية وحقها ، وملاحظتهم لسيدهم ، خوفاً أن يشير إليهم بأمر ، فيجدهم غافلين عن ملاحظته ، وهنا أمر يعرفه من شاهد أحوال الملوك وخواصهم .

فهذا هو شهود العبد للمنعم بوصف عبوديته له ، واستغراقه عن الإحسان بما حصل له من القرب الذى تميز به عن غيره .

فصاحب هذا المشهد : إذا أنعم عليه سيده فى هذه الحال ــ مع قيامه فى مقام العبودية ــ يوجب عليه أن يستصغر نفسه فى حضرة سيده غاية الاستصغار ، مع امتلاء قلبه من محبته ، فأى إحسان ناله منه فى هذه الحالة رآه عظيماً . والواقع شاهد بهذا فى حال المحب الكامل المحبة ، المستغرق فى مشاهدة محبوبه إذا ناوله شيئاً يسيراً ، فإنه يراه فى ذلك المقام عظيماً جداً ، ولا يراه غيره كذلك .

القسم الثانى : يشهد الحق مشهوده محبة غالبة قاهرة له ، مستغرق فى شهوده كذلك ، فإنه يستحلى فى هذه الحال الشدة منه ، لأن المحب يستحلى فعل المحبوب به .

وأقل ما فى هذا المشهد : أن يخف عليه حمل الشدائد ، إن لم تسمح نفسه باستحلائها . وفى هذا من الحكايات المعروفة عند الناس مايغنى عن ذكرها .

كحال الذى كان يضرب بالسياط ولا يتحرك ، حتى ضرب آخر سوط ، فصاح صياحاً شديداً ، فقيل له فى ذلك . فقال : العين التى كانت تنظر إلى وقت الضرب كانت تمنعنى من الإحساس بالألم ، فلما فقدتها وجدت ألم الضرب .

وهذا الحال عارضة ليست بلازمة ، فإن الطبيعة تأبى استحلاء المنافى كاستحلاء الموافق .

نعم قد يقوى سلطان المحبة حتى يستحلى المحب مايستمره غيره ، ويستخف مايستثقله غيره ، ويأنس بما يستوحش منه الخلى ، ويستوحش مما يأنس به

ويستلين مايستوعره ، وقوة هذا وضعفه بحسب قهر سلطان المحبة ، وغلبته على قلب المحب .

القسم الثالث : أن يشهده تفريداً ، فإنه لا يشهد معه نعمة ولا شدة .

يقول : إن شهود التفريد : يفنى الرسم . وهذه حال الفناء ، المستغرق فيه ، الذى لا يشهد معه نعمة أو بلية ، فإنه يغيب بمشهوده عن شهوده له ، ويغنى به عنه . فكيف يشهد معه نعمة أو بلية ؟ كما قال بعضهم فى هذا : من كانت مواهبه لا تتعدى يديه فلا واهب ولا موهوب .

وذلك مقام الجمع عندهم ، وبعضهم يحرم العبارة عنه .

وحقيقته : اصطلام[1] يرفع إحساس صاحبه برسمه ، فضلاً عن رسم غيره ، لاستغراقه فى مشهوده وغيبته به عما سواه ، وهذا هو مطلوب القوم .

وقد عرفت أن فوقه مقاماً أعلى منه ، وأرفع وأجل ، وهو أن يصطلم بمراره عن غيره ، فيكون فى حال مشاهدته واستغراقه منفذاً لمراسيمه ومراده ، ملاحظاً لما يلاحظ محبوبه من المرادات والأوامر .

فتأمل الآن عبدين بين يدى ملك من ملوك الدنيا ، وهما على موقف واحد بين يديه ، أحدهما مشغول بمشاهدته ، فإن استغراقه فى ملاحظة الملك ، ليس فيه متسع إلى ملاحظة شيء من أمور الملك ألبَتَّةَ ، وآخر مشغول بملاحظة حركات الملك وكلماته ، وخواطره ولحظاته ، ليرتب على كل من ذلك ماهو مراد للملك .

وتأمل قصة بعض الملوك : الذى كان له غلام يخصه بإقباله عليه وإكرامه ، والحظوة عنده من بين سائر غلمانه ـ ولم يكن الغلام أكثرهم قيمة ، ولا أحسنهم صورة ـ فقالوا فى ذلك . فأراد السلطان أن يبين لهم فضل الغلام فى الخدمة على غيره . فيوماً من الأيام كان راكباً فى بعض شئونه ومعه الحشم ، وبالبعد منه جبل عليه ثلج ، فنظر السلطان إلى ذلك الثلج وأطرق . فركض الغلام فرسه برجليه .

ولم يعلم القوم لماذا ركض ، فلم يلبث أن جاء ومعه شيء من الثلج ، فقال السلطان : ماأدراك أنى أريد الثلج ، فقال الغلام : لأنك نظرت إليه ، ونظر الملوك

(١) اصطلام : استئصال .

إلى شيء لا يكون من غير قصد ، فقال السلطان : إنما أخصه بإكرامي وإقبالى لأن لكل واحد منكم شغلاً ، وشغله مراعاة لحظاتى ، ومراقبة أحوالى ، يعنى فى تحصيل مرادى .

الإحســـان :

الإحسان لب الإيمان ، وروحه وكماله ، وهذه المنزلة تجمع المنازل فجميعها منطوية فيها ، وله ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : الإحسان فى القصد :

ويكون الإحسان فى القصد بثلاثة أشياء ، أحدها : تهذيبه علماً ، بأن يجعله تابعاً للعلم على مقتضاه مهذباً به ، مُنَقًّى من شوائب الحظوظ ، فلا يقصد إلا مايجوز فى العلم و(العلم) هو اتباع الأمر والشرع ، والثانى : إبرامه عزماً ، والإبرام الإحكام والقوة ، أى يقارنه عزم يمضيه ، ولا يصحبه فتور وتوان يضعفه ويوهنه .

الثالث « تصفيته حالاً » أى يكون حال صاحبه صافياً من الأكدار والشوائب ، التى تدل على كدر قصده . فإن الحال مظهر القصد وثمرته ، وهو أيضا مادته وباعثه ، فكل منهما ينفعل عن الآخر ، فصفاؤه وتخليصه من تمام صفاء الآخر وتخليصه .

الدرجة الثانية : الإحسان فى الأحوال :

وهو أن تراعيها غيرة : أى حفظها وصونها ، غيرة عليها أن تحول ، فإنها تمر مر السحاب ، فإن لم يرع حقوقها حالت ، ومراعاتها : بدوام الوفاء ، وتجنب الجفاء . ويراعيها أيضاً بإكرام نزلها ، فإنها ضيف ، والضيف إن لم تكرم نزله ارتحل . ويراعيها أيضاً بضبطها ماأمكنه ، وشَدِّ يَدِهِ عليها ، وأن لا يسمح بها لقاطع طريق ولا ناهب .

ويراعيها أيضاً : بالانقياد إلى حكمها ، والإذعان لسلطانها إذا وافق الأمر ، ويراعيها أيضاً : بسترها تظرفاً ، وهو أن يسترها عن الناس ماأمكنه ، لئلا يعلموا بها ، ولا يظهرها إلا لحجة ، أو حاجة ، أو مصلحة راجحة ، فإن فى إظهارها

بدون ذلك افات عديدة، مع تعريضها للصوص والسراق والمغيرين .

وإظهار الحال للناس عند الصادقين ، حمق وعجز ، وهو من حظوظ النفس والشيطان وأهل الصدق والعزم لها أستر ، وأكتم من أرباب الكنوز من الأموال لأموالهم ، حتى إن منهم من يظهر أضدادها نفياً وجحداً .

*** وكذلك الإحسان أن تصححها تحقيقا (أى الأحوال) :**

أى يجتهد فى تحقيق أحواله ، وتصحيحها وتخليصها ، فإن الحال قد يمتزج بحق وباطل ، ولايميّزه إلا أولوا البصائر والعلم .

وأهل هذه الطريق يقولون : إن الوارد الذى يبتدىء من الجانب الأيمن والهواتف والخطاب : يكون فى الغالب حقاً ، والذى يبتدىء من الجانب الأيسر : يكون فى الغالب باطلاً وكذباً ، فإن أهل اليمين هم أهل الحق ، وبأيمانهم يأخذون كتبهم ، ونورهم الظاهر على الصراط بأيمانهم ، وكان رسول الله ﷺ يعجبه التيمن فى تنعله وترجله وطهوره وشأنه كله ، والله وملائكته يصلون على ميامن الصفوف .

وأخبر أن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله . وحظه من ابن آدم جهة الشمال ، ولهذا تكون اليد الشمال للاستجمار ، وإزالة النجاسة والأذى ، ويبدأ بالرجل الشمال عند دخول الخلاء .

* ***ومن الفرقان أيضاً*** : أن كل وارد يبقى الإنسان بعد انفصاله نشيطاً مسروراً نشوان ، فإنه وارد ملكى ، وكل وارد يبقى الإنسان بعد انفصاله خبيث النفس كسلان ، ثقيل الأعضاء والروح يجنح إلى فتور : فهو وارد شيطانى .

* ***ومن الفرقان أيضاً*** : أن كل وارد أعقب فى القلب : معرفة بالله ومحبة له ، وأنساً به ، وطمأنينة بذكره ، وسكوناً إليه ، فهو ملكى إلهى ، وخلافه بخلافه .

* ***ومن الفرقان أيضاً*** : أن كل وارد أعقب صاحبه تقدماً إلى الله تعالى والدار الآخرة ، وحضوراً فيها ، حتى كأنه يشاهد الجنة قد أزلفت ، والجحيم قد سعرت ، فهو إلهى ملكي ، وخلافه شيطانى نفسانى .

* ***ومن الفرقان أيضاً*** : أن كل وارد كان سببه النصيحة فى امتثال الأمر ، والإخلاص والصدق فيه ، فهو إلهى ملكى ، وإلا فهو شيطانى .

* ***ومن الفرقان أيضاً*** : أن كل وارد استنار به القلب ، وانشرح له الصدر وقوى به القلب : إلهى ملكى ، وإلا فهو شيطانى .

* *ومن الفرقان أيضاً* : أن كل وارد جمعك على الله فهو منه ، وكل وارد فرقك عنه ، وأخذك عنه ، فمن الشيطان .

* *ومن الفرقان أيضاً* : أن الوارد الإلهى لايصرف إلا فى قربة وطاعة ، ولا يكون سببه إلا قربة وطاعة ، فمستخرجه الأمر ، ومصرفه الأمر ، والشيطانى بخلافه .

* *ومن الفرقان أيضاً* : أن الوارد الرحمانى لايتناقض ، ولايتفاوت ولا يختلف بل يصدق بعضه بعضاً ، والشيطانى بخلافه يكذب بعضه بعضاً .. والله تعالى أعلم .

الدرجة الثالثة : الإحسان فى الوقت :

قيل « الإحسان فى الوقت وهو أن لاتزايل المشاهدة أبداً ، ولا تخلط بهمتك أحداً وتجعل هجرتك إلى الحق سرمداً » .

أى لاتفارق حال الشهود ، وهذا إنما يقدر عليه أهل التمكن الذين ظفروا بنفوسهم وقطعوا المسافات التى بين النفس وبين القلب . والمسافات التى بين القلب وبين الله بمجاهدة القطاع التى على تلك المسافات .

وأن تعلق همتك بالحق وحده ، ولا تعلق همتك بأحد غيره . فإن ذلك شرك فى طريق الصادقين .

واعلم أن كل متوجه إلى الله بالصدق والإخلاص فإنه من المهاجرين إليه ، فلا ينبغى أن يَتَخَلَّف عن هذه الهجرة ، بل ينغبى أن يصحبها سرمداً ، حتى يلحق بالله عز وجل .

فما هى إلا ساعة ثم تنقضى ويحمد غب السير من هو سائر

* ولله على كل قلب هجرتان ، وهما فرض لازم له على الأنفاس :

هجرة إلى الله سبحانه وتعالى بالتوحيد والإخلاص ، والإنابة والحب ، والخوف والرجاء والعبودية .

وهجرة إلى رسوله ﷺ بالتحكيم له والتسليم والتفويض والانقياد لحكمه ، وتلقى أحكام الظاهر والباطن من مِشْكَاتِه ، فيكون تعبده أعظم من تعبد الركب بالدليل الماهر فى ظلم الليل ، ومتاهات الطريق .

فمن لم يكن لقلبه هاتان الهجرتان فليحث على رأسه الرماد ، وليراجع الإيمان من أصله ، فيرجع وراءه ليقتبس نوراً ، قبل أن يحال بينه وبينه ، ويقال له ذلك على الصراط من وراء السور .

الإخبـــات :

* قال تعالى : ﴿ **وبشر المخبتين** ﴾ ثم قال مبيناً معناهم ﴿ **الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، والصابرين على ما أصابهم والمقيمى الصلاة ومما رزقناهم ينفقون** ﴾[1] و(الخبت) فى أصل اللغة : المكان المنخفض من الأرض، وبه فسر ابن عباس رضى الله عنهما وقتاده لفظ (المخبتين) وقالا : هم المتواضعون . وقال مجاهد : المخبت المطمئن إلى الله عز وجل ، قال : والخبت : المكان المطمئن من الأرض ، وقال الأخفش : الخاشعون ، وقال إبراهيم النخعى : المصلون المخلصون ، وقال الكلبى : هم الرقيقة قلوبهم ، وقال عمرو بن أوس : هم الذين لايظلمون ، وإذا ظلموا لم ينتصروا .

درجـــات الإخبـــات :

الدرجة الأولى :

همة تصون القلب عن وشحة الرغبة فى الفانى ، وتحمله على الرغبة فى الباق ، وتصفيه من كدر التوانى .

فالفانى فى الدنيا وماعليها . أى يزهد القلب فيها وفى أهلها ، وسمى الرغبة فيها (وحشة) لأنها وأهلها توحش قلوب الراغبين فيها ، وقلوب الزاهدين فيها .

أما الراغبون فيها فأرواحهم وقلوبهم فى وحشة من أجسامهم ، إذ فاتها ماخلقت له ، فهى فى وحشة لفواته .

* وأما الزاهدون فيها : فإنهم يرونها موحشة لهم ، لأنه تحول بينهم وبين مطلوبهم ومحبوبهم ، ولا شيء أوحش عند القلب مما يحول بينه وبين مطلوبه ومحبوبه ولذلك كان من نازع الناس أموالهم وطلبها منهم : أوحش شيء إليهم وأبغضه . وأيضاً : فالزاهدون فيها : إنما ينظرون إليها بالبصائر ، والراغبون :

---

(١) سورة الحج : الآيتان ٣٤ ، ٣٥ .

ينظرون إليها بالأبصار ، فيستوحش الزاهد مما يأنس به الراغب . كما قيل :

وإذا أفاق القلب واندمل الهوى رأت القلوب ، ولم تر الأبصار

وكذلك هذه الهمة تحمله على الرغبة فى الباق لذاته ، وهو الحق سبحانه والباق بإبقائه : وهو الدار الآخرة .

« وتصفيه من كدر التوانى » أى تخلصه وتمحصه من أوساخ الفتور والتوانى ، الذى هو سبب الإضاعة والتفريط . والله أعلم .

الدرجة الثانية :

(همة تورث أنفة من المبالاة بالعلل ، والنزول على العمل ، والثقة بالأمل)

العلل : هاهنا : هى علل الأعمال من رؤيتها ، أو رؤية ثمراتها ، وإرادتها ونحو ذلك فإنها عندهم علل .

فصاحب هذه الهمة : يأنف على همته ، وقلبه من أن يبالى بالعلل ، فإن همته فوق ذلك ، فمبالاته بها ، وفكرته فيها ، نزول من الهمة .

وعدم هذه المبالاة : إما لأن العلل لم تحصل له ، لأن علو همته حال بينه وبينها ، فلا يبالى بما لم يحصل له ، وإما لأن همته وسعت مطلوبه ، وعلوه يأتى على تلك العلل ، ويستأصلها . فإنه إذا علق همته بما هو أعلى منها تضمنتها الهمة العالية ، فاندرج حكمها فى حكم الهمة العالية وهذا موضع غريب .

وأما « أنفته من النزول على العمل » فكلام يحتاج إلى تقييد وتبيين : وهو أن العالى الهمة مطلبه فوق مطلب العمال والعباد وأعلى منه ؛ فهو يأنف أن ينزل من سماء مطلبه العالى ، إلى مجرد العمل والعبادة ، دون السفر بالقلب إلى الله ليحصل له ويفوز به ، فإنه طالب لِرَبِّه تعالى طلباً تاماً بكل معنى واعتبار فى عمله وعبادته ومناجاته ، ونومه ويقظته ، وحركته وسكونه ، وعزلته وخلطته ، وسائر أحواله ، فقد انصبغ قلبه بالتوجه إلى الله تعالى أيماَ صبغة وهذا الأمر إنما يكون لأهل المحبة الصادقة ، فهم لا يقنعون بمجرد رسوم الأعمال ، ولا بالاقتصار على الطلب حال العمل فقط .

وهذه العزائم لاتصح إلا لمن أشرق على قلبه أنوار آثار الأسماء والصفات وتجلت عليه معانيها ، وكافح قلبه حقيقة اليقين بها .

وقد قيل : « من أخذ العلم من عين العلم ثبت ، ومن أخذه من جريانه أخذته أمواج الشبه ، ومالت به العبارات ، واختلفت عليه الأقوال » .

الدرجة الثالثة :

أن يستوى عنده المدح والذم ، وتدوم لائمته لنفسه ، ويعمى عن نقصان الخلق عن درجته » .

فالوقوف عند مدح الناس وذمهم : علامة انقطاع القلب ، وخلوه من الله وأنه لم تباشره روح محبته ومعرفته ، ولم يذق حلاوة التعلق به والطمأنينة إليه وقوله : « وأن تدوم لائمته لنفسه » فهو أن صاحب هذا المنزل لا يرضى عن نفسه وهو مبغض لها متمن لمفارقتها .

والمراد بالنفس : ماكان معلولاً من أوصاف العبد ، مذموماً من أخلاقه وأفعاله سواء كان ذلك كسبياً أو خلقياً ، فهو شديد اللائمة لها ، وهذا أحد التأويلين فى قوله تعالى : ﴿ **ولا أقسم بالنفس اللوامة** ﴾[1] قال سعيد بن جبير وعكرمة : « تلوم على الخير والشر ، ولا تصبر على السراء ولا على الضراء » .

وقال قتادة : اللوامة : هى الفاجرة .

وقال مجاهد : تندم على مافات ، وتقول : لو فعلت ؟ ولو لم أفعل ؟

وقال الحسن : هى النفس المؤمنة . إن المؤمن — والله — ماتراه إلا يلوم نفسه ، ماأردت بكلمة كذا ؟ ماأردت بأكلة كذا ؟ ماأردت بكذا ؟ وإن الفاجر يمضى قدماً ولا يحاسب نفسه ولا يعاتبها .

وبعد ...

فهذه هى التوبة ماحية الذنوب والخطايا .. وهذا هو الرجاء ، وذلك هو الحمد والشكر ، وذاك هو الإحسان ، وهذه الهمم المحبة .. طريق إلى الرحمن ، سهل مسلكه ، يطمئن القلوب ، ويبعث فيها اليقين ويجعل العبد يباشر حلاوة الإيمان . وتلك عبادة الله وهى طريقة المؤمنين مع ربهم : يشكرون ، ويتوبون ، ويحسنون ، ويرجون رحمته ، ويخافون عذابه ، ويحبونه ، فهذه طريقتهم .. وهذا طريقك أيها المؤمن إلى الجنة ، فهلا نكون منهم ! ، هيا نستعد جميعاً لكل خير لنصل إليها إن شاء الله ؛ اللهم قربنا إلى الجنة ومايقرب إليها من قول وعمل !

---

(١) سورة القيامة : الآية ٢ .

الباب الثالث
صفة أهل الجنة

أهل الجنة فى سعادة دائمة وطمأنينة أبدية لاتنتهى ولا تتبدل منعمون بما حباهم الله من الخير الكثير والنعيم المقيم على أحسن صورة ، كأنهم أبناء ثلاثة وثلاثين شباباً وقوة . لايفنى شبابهم . وجوههم كالقمر ليلة البدر وأصفى وأحسن . وأجسامهم كوجوههم يرى باطنها من ظاهرها وظاهرها من باطنها . طيبة روائحهم من غير طيب أحسن من المسك وأطيب من العنبر ، يرشح من أجسادهم عرق أطيب من كل طيب ، متناسبة أعضاؤهم ووجوههم ورءوسهم وأيديهم وأرجلهم ، أشرق على وجوههم السناء والضياء والبهاء وشملهم الجمال ، واستولى عليهم الكمال ، يزدادون نضارة على تجدد الأوقات والأزمان ، لاتفتر هممهم ، ولا تكل ألسنتهم عن التقديس والتعظيم لله عز وجل . ولا يعتريهم القلق . ولا يصل إليهم الهم . ولا يمر عليهم الغم . ولا تضيق صدورهم . ولا تستوحش نفوسهم . ولا تذهل عقولهم . ولا ترتاع قلوبهم . قد صفت لهم الدار ، واطمأن بهم القرار فطوبى لهم وحسن مآب .

قال تعالى : ﴿ **وجوه يومئذ مسفرة . ضاحكة مستبشرة** ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ **وجوه يومئذ ناعمة . لسعيها راضية فى جنة عالية . لاتسمع فيها لاغية** ﴾[2] وقال تعالى : ﴿ **ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون** ﴾[3] وقال تعالى : ﴿ **ياعباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون** ﴾[4] وقال تعالى : ﴿ **إن المتقين فى جنات وعيون ، ادخلوها بسلام آمنين ، ونزعنا مافى صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين ، لايمسهم فيها نصب وماهم منها بمخرجين** ﴾[5] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **يدخل الجنة من أمتى زمرة وهم سبعون ألفاً تضىء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر** » متفق عليه .

وعن أبى هريرة أيضا رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم على أشد كوكب**

---

(١) سورة عبس : الآيات ٣٨ – ٣٩ .
(٢) سورة الغاشية : الآيات ٨ – ١١ .
(٣) سورة الأعراف : الآية ٤٩ .
(٤) سورة الزخرف : الآية ٦٨ .
(٥) سورة الحجر : الآيات ٤٥ – ٤٨ .

دري في السماء إضاءة لا يبولون ولا يتغوطون[1] ولا يتفلون ولا يتمخطون ، أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الألوة[2] أزواجهم الحور العين ، على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم » متفق عليه .

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : **يدخل أهل الجنة الجنة مردا[3] مكحلين أبناء ثلاثين أو ثلاث وثلاثين سنة » رواه الترمذي .**

أهل الجنة لا ينامون :

عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **النوم أخو الموت وأهل الجنة لا ينامون** » رواه ابن مردويه .

وعن جابر أيضاً قال : « سئل نبي الله ﷺ : فقيل : أينام أهل الجنة ؟ فقال النبي ﷺ : « **النوم أخو الموت وأهل الجنة لا ينامون** » .

الجنة تزداد حسناً على الدوام :

عن كعب قال : ما نظر الله إلى الجنة إلا قال : طيبي لأهلك فتزداد ضعفاً ــ بكسر الضاد ــ حتى يدخلها أهلها .

◘ *أبـــواب الجنـــة وعـــددها*

للجنة أبواب ثمانية كل باب منها مخصص لصنف من أهلها يدعون للدخول منه فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان .

قال تعالى : ﴿ **وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين** ﴾[4] .

وقال تعالى أيضاً : ﴿ **جنات عدن مفتحة لهم الأبواب . متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب** ﴾[5] .

---

(1) لا يتغوطون : لا يتبرزون . (2) الألوة : عود هندي يتخبر به .

(3) المرد جمع أمرد وهو الذي طر شاربه وبلغ خروج لحيته ولم تظهر .

(4) سورة الزمر : الآية ٧٣ . (5) سورة ص : ٥٠ – ٥١ .

وفى الصحيحين من حديث الزهرى عن حميد بن عبد الرحمن عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **من أنفق زوجين[1] فى شىء من الأشياء فى سبيل الله دعى من أبواب الجنة : ياعبد الله هذا خير ، فمن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة ، ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الريان فقال أبو بكر : يارسول الله ماعلى من يدعى من أخير تلك الأبواب من ضرورة فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها ؟ فقال : نعم وأرجو أن تكون منهم** » .

وفى صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب عن النبى ﷺ قال : « **مامنكم من أحد يتوضأ فيبالغ أو فيسبغ الوضوء ثم يقول : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء** » ..

وفى الصحيحين من حديث أبى حازم عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال : «**فى الجنة ثمانية أبواب ، باب منها يسمى الريان لايدخله إلا الصائمون** » .

وعن عتبة بن عبد السلمى قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **مامن مسلم يتوفى له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث[2] إلا تلقوه من أبواب الجنة الثمانية ، من أيها شاء دخل** » رواه ابن ماجه .

سعة أبواب الجنة :

عن أبى هريرة قال : « وضعت بين يدى رسول الله ﷺ قصعة من ثريد ولحم فتناول الذراع — وكان أحب الشاة إليه — فنهس[3] نهسة وقال : **أنا سيد الناس يوم القيامة ، ثم نهس أخرى وقال : أنا سيد الناس يوم القيامة : فلما رأى أصحابه لايسألونه : قال : ألا تقولون كيف ؟ قالوا : كيف يارسول الله ؟ قال : يقوم الناس لرب العالمين فيسمعهم الداعى وينفذهم البصر ، فذكر حديث الشفاعة بطوله ، وقال فى آخره :**

(١) زوجين : أى صنفين من جنس واحد كدرهمين وبعيرين والمراد بذلك تكرار الصدقة فى السر والعلن .
(٢) لم يبلغوا الحنث : لم يبلغوا مبلغ الرجال ويجرى عليهم القلم فيكتب عليهم الحنث وهو الإثم .
(٣) نهس بالسين المهملة أى أخذ بأطراف أسنانه .

فأنطلق فآتى تحت العرش فأقع ساجداً لربى ، فيقيمنى رب العالمين مقاماً لم يقمه أحداً قبلى ، ولن يقيمه أحداً بعدى ، فأقول : « يارب أمتى أمتى فيقول يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن ، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ، والذى نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر . أو هجر ومكة » وفى لفظ « لكما بين مكة وهجر ، أو كما بين مكة وبصرى » ا. هـ .[1]

قال ابن القيم :

روى الوليد بن مسلم عن خليد عن الحسن : ﴿ **مفتحة لهم الأبواب** ﴾[2] قال : أبواب ترى ، وذكر أيضاً عن خليد عن قتادة قال : أبواب يرى ظاهرها من باطنها ، وباطنها من ظاهرها تتكلم وتكلم ، وتفهم ما يقال لها ، انفتحى انغلقى ، وقال الفزازى : « لكل مؤمن فى الجنة أربعة أبواب ، فباب يدخل عليه منه زواره من الملائكة ، وباب يدخل عليه منه أزواجه من الحور العين ، وباب مقفل فيما بينه وبين أهل النار يفتحه إذا شاء ينظر إليهم لتعظم النعمة عليه ، وباب فيما بينه وبين دار السلام يدخل منه على ربه إذا شاء .

المسافة بين مصراعى الباب :

* ولما كانت الجنات درجات بعضها فوق بعض ، كانت أبوابها كذلك ، وباب الجنة العالية فوق باب الجنة التى تحتها ، وكلما علت الجنة اتسعت ، فعاليها أوسع مما دونه ، وسعة الباب بحسب وسع الجنة ، ولعل هذا وجه الاختلاف الذى جاء فى مسافة ما بين مصراعى الباب ، فإن أبوابها بعضها أعلى من بعض .

* ولهذه الأمة باب مختص بهم يدخلون منه دون سائر الأمم ، فعنه ﷺ أنه قال : « **باب أمتى الذى يدخلون منه الجنة عرض مسيرة الراكب ثلاثاً ، ثم إنهم ليضطغطون**[3] **حتى تكاد مناكبهم تزول** »[4] .

* وعن على بن أبى طالب قال : « إن أبواب الجنة هكذا بعضها فوق بعض » ثم قرأ ﴿ **حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها** ﴾[5] إذا هم عندها بشجرة فى أصلها عينان تجريان فيشربون من إحداهما فلا يترك فى بطونهم قذى ولا أذى إلا رمته ، ويغتسلون من الأخرى فتجرى عليهم نضرة النعيم فلا تشعث رءوسهم ولا تغبر

---

(١) متفق على صحته .
(٢) سورة ص : الآية ٥٠ .
(٣) ليضطغطون : يزدحمون .
(٤) رواه الإمام أحمد فى مسنده عن ابن عمر .
(٥) سورة الزمر : الآية ٧١ .

أبشارهم بعد هذا أبداً ، ثم قرأ : ﴿ طبتم فادخلوها خالدين ﴾[١] .

فيدخل الرجل وهو يعرف منزله ويتلقاهم الولدان فيستبشرون برؤيتهم كما يستبشر الأهل بالحميم يقدم من الغيبة فينطلقون إلى أزواجهم فيخبرونهم بمعاينتهم فتقول . أنت رأيته ؟ فيقوم إلى الباب فيدخل إلى بيته فيتكىء على سريره فينظر إلى أساس بيته فإذا هو قد أسس على اللؤلؤ ، ثم ينظر فى أخضر وأحمر وأصفر ، ثم يرفع رأسه إلى سماء بيته ، فلولا أنه خلق له لاتمع [٢] بصره فيقول ﴿ الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ﴾[٣] .

◻ غرف الجنة وبناؤها وقصورها

أعد الله ـــ جلت قدرته ـــ فى الجنة غرفاً شفافة يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها متألقة كأنها النجوم ، بلغت حد الكمال فى السعة والتمكين ، قصورها من ذهب لا يشاكله ذهب الدنيا ولا يماثله ؛ لأنه جوهر شفاف فى غاية الصفاء ، وحصباء أرضها الياقوت والجوهر ، وترابها الزعفران والمسك ، مفروشة بالفرش الناعمة من السندس والأطاليس والإستبرق فى غاية الرقة والنعومة تشق فى أرجائها الأنهار وتجرى فى وسطها الغدران .

قال الله تعالى : ﴿ **وما أموالكم و لا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحاً فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم فى الغرفات آمنون** ﴾[٤] وقال تعالى أيضاً : ﴿ **لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية** ﴾[٥] وقال تعالى أيضاً عن امرأة فرعون قالت : ﴿ **رب ابن لى عندك بيتاً فى الجنة** ﴾[٦] .

وقال الطبرانى : حدثنا عيدان بن أحمد ، حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا الوليد ابن مسلم ، حدثنا معاوية بن سلام عن زيد بن سلام ، قال : حدثنى أبو معانق الأشعرى ، حدثنى أبو مالك الأشعرى أن رسول الله ﷺ قال : « **إن فى الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها ، أعدها الله لمن أطعم الطعام ، وأدام الصيام : وصلى بالليل والناس نيام** » .

وفى الصحيحين من حديث عبد الله بن أبى أوفى وأبى هريرة وعائشة « أن

(١) سورة الزمر : الآية ٧٣ .
(٢) انتمع : ذهب .
(٣) سورة الأعراف : الآية ٤٣ .
(٤) سورة سبأ : الآية ٣٧ .
(٥) سورة الزمر : الآية ٢٠ .
(٦) سورة التحريم : الآية ١١ .

جبريل قال للنبى ﷺ : هذه خديجة أقرئها السلام من ربها ، وأمره أن يبشرها ببيت فى الجنة من قصب[1] لاصخب فيه ولا نصب[2] » .

وفى الصحيحين أيضاً من حديث حميد عن أنس أن النبى ﷺ قال : **« أدخلت الجنة فإذا أنا بقصر من ذهب فقلت : لمن هذا القصر ؟ قالوا : لشاب من قريش ، فظننت أنى أنا هو ، فقلت : ومن هو ؟ قالوا : لعمر بن الخطاب »** .

وروى الترمذى فى جامعه من حديث عبد الرحمن بن إسحق عن النعمان بن سعيد عن على قال : قال رسول الله ﷺ : **« إن فى الجنة لغرفاً يرى ظهورها من بطونها ، وبطونها من ظهورها ، فقام أعرابى فقال : يارسول الله لمن هى ؟ قال : لمن طيب الكلام ، وأطعم الطعام ، وأدام الصيام ، وصلى بالليل والناس نيام »** .

وفى الصحيحين من حديث أبى موسى الأشعرى عن النبى ﷺ قال : **« إن للمؤمن فى الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلاً ، فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً »** .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قلنا يارسول الله إذا رأيناك رقت قلوبنا وكنا من أهل الآخرة ، وإذا فارقناك أعجبتنا الدنيا وشممنا النساء والأولاد . قال : **« لو تكونون على كل حال على الحال التى أنتم عليها عندى لصافحتكم الملائكة بأكفهم ولزارتكم فى بيوتكم ولو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون كى يغفر الله لهم »** قال : يارسول الله حدثنا عن الجنة مابناؤها ؟ قال : **لبنة ذهب ولبنة فضة وملاطها[3] المسك وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وترابها الزعفران ومن يدخلها ينعم ولاييأس ويخلد ولايموت لاتبلى ثيابه ولايفنى شبابه .. »** رواه أحمد .

* وعن سهل بن سعد عن رسول الله ﷺ فى قوله تعالى : **﴿ أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ﴾**[4] وقوله **﴿ وهم فى الغرفات آمنون ﴾**[5] قال : **« الغرفة من ياقوتة حمراء أو زبرجدة خضراء أو درة بيضاء ليس فيها فصم ولا وصل ، وإن أهل الجنة ليتراءون الغرفة منها كما تتراءون الكوكب الشرقى أو الغربى**

---

(١) المقصود هنا قصب اللؤلؤ المجوف .
(٢) الصخب : الضجة واختلاط الأصوات .
والنصب : التعب والإعياء والضعف والمرض
(٣) الملاط : الطين الذى يطلى به الحائط .
(٤) سورة الفرقان : الآية ٧٥ .
(٥) سورة سبأ : الآية ٣٧ .

الغائر فى أفق السماء وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعماً » ا. هـ[1] .

* وعن عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ قال : « **إن المتحابين فى الله تعالى لعلى عمود من ياقوتة حمراء فى رأس العمود سبعون ألف غرفة يضىء حسنهم أهل الجنة كما تضىء الشمس أهل الدنيا يقول أهل الجنة بعضهم لبعض : انطلقوا بنا حتى ننظر إلى المتحابين فى الله عز وجل فإذا أشرفوا عليهم أضاء حسنهم أهل الجنة كما تضىء الشمس أهل الدنيا عليهم ثياب خضر من سندس مكتوب على جباههم هؤلاء المتحابون فى الله عز وجل** »[2] ا. هـ .

* عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال : **ألا أخبركم بغرف الجنة ؟ غرفاً من ألوان الجواهر يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها ، فيها من النعيم والثواب والكرامات ما لا أذن سمعت ، ولا عين رأت ، فقلنا : بأبينا أنت وأمنا يارسول الله ، لمن تلك فقال : لمن أفشى السلام ، وأدام الصيام ، وأطعم الطعام ، وصلى والناس نيام ، فقلنا : بأبينا أنت وأمنا يارسول الله ، ومن يطيق ذلك ؟ فقال : أمتى تطيق ذلك ، وسأخبرك من يطيق ذلك ، من لقى أخاه المسلم فسلم عليه فقد أفشى السلام ، ومن أطعم أهله وعياله من الطعام حتى يشبعهم فقد أطعم الطعام ، ومن صام رمضان ، ومن كل شهر ثلاثة أيام فقد أدام الصيام ، ومن صلى العشاء الأخيرة فى جماعة فقد صلى والناس نيام : اليهود والنصارى والمجوس ا. هـ**[3] قال القرطبى معلقاً على الحديث وغيره :

* اعلم أن هذه الغرف مختلفة فى العلو والصفة بحسب اختلاف أصحابها فى الأعمال ، فبعضها أعلى من بعض وأرفع ، وقوله من الشرق أو الغربى الغائر من المشرق أو المغرب يروى بالياء اسم فاعل من غار .

فقد روى مسلم فى غير الغارب بتقديم الراء ، والمعنى واحد ، وروى الغابر بالباء بواحدة ، ومعناه الذاهب أو الباقى ، فإن غبر من الأضداد ، يقال غبر إذا ذهب ، وغبر إذا بقى ، ويعنى به أن الكوكب حالة طلوعه وغروبه بعيد عن الأبصار فيظهر صغيراً لبعده ، وقد بينه بقوله من المشرق أو المغرب ، وقد روى العازب بالعين المهملة والزاى ، أى البعيد ومعانيها كلها متقاربة المعنى .

(١) (٢) أخرجهما الترمذى . (٣) أخرجه أبو نعيم فى الحلية .

وقوله « **الذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين** » ولم يذكر عملاً ولاشيئاً سوى الإيمان والتصديق للمرسلين ، وذلك ليعلم أنه عنى الإيمان البالغ وتصديق المرسلين من غير سؤال آية ولا تلجلج ، وإلا فكيف تنال الغرفات بالإيمان والتصديق الذى للعامة ، ولو كان كذلك كان جميع الموحدين فى أعالى الغرفات وأرفع الدرجات ، وهذا محال ، وقد قال الله تعالى ﴿ **أولئك يجزون الغرفة بما صبروا** ﴾[1] ، والصبر بذل النفس والثبات له وقوفاً بين يديه بالقلوب عبودية وهذه صفة المقربين . وقال فى آية أخرى ﴿ **وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحاً فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم فى الغرفات آمنون** ﴾[2] ، فذكر شأن الغرفة وأنها لاتنال بالأموال والأولاد ، وإنما تنال بالإيمان والعمل الصالح ، ثم بين لهم جزاء الضعف وأن محلهم الغرفات ، يعلمك أن هذا إيمان طمأنينة وتعلق قلب به مطمئناً به فى كل ما نابه ، وبجميع أموره وأحكامه ، فإذا عمل عملاً صالحاً فلا يخلطه بضده وهو الفاسد .

فلا يكون العمل الصالح الذى لا يشوبه فساد إلا مع إيمان بالغ مطمئن صاحبه بمن آمن وبجميع أموره وأحكامه ، والمخلط ليس إيمانه وعمله هكذا ، فلهذا كانت منزلته دون غيره ا. هـ .

بم ينال المؤمن قصور الجنة ؟

* أخبر أبو عقيل أنه سمع سعيد بن المسيب يقول : إن نبى الله ﷺ قال : « **(من قرأ قل هو الله أحد) عشر مرات بنى له قصر فى الجنة ، ومن قرأها عشرين مرة بنى له قصران فى الجنة ، ومن قرأها ثلاثين مرة بنى له ثلاثة قصور فى الجنة فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه إذًا لتكثرنَّ قصورنا ، فقال رسول الله ﷺ : الله أوسع من ذلك** »[3] .

* وعن أبى موسى قال (قال رسول الله ﷺ : « **إذا قبض الله عز وجل ابن العبد ، قال الله للملائكة : ماذا قال عبدى ؟ قالوا حمدك واسترجع ، قال : ابنوا له بيتاً فى الجنة وسموه بيت الحمد** ») ا. هـ[4]

---

(١) سورة الفرقان : الآية ٧٥ .
(٢) سورة سبأ : الآية ٣٧ .
(٣) أخرجه الدرامى فى مسنده .
(٤) أخرجه أبو داود الطيالسى فى سننه .

أنهار الجنة

ذكر الله سبحانه وتعالى أنهار الجنة فى أكثر من موضع وذلك تعظيما لها وترغيباً للناس فيها ليتنافسوا فى العمل لما يوصلهم إليها ويقربهم من الورود عليها ، وهذه الأنهار تجرى من تحت غرفهم وقصورهم وبساتينهم ، ومن يشرب من هذه الأنهار شربة لايظمأ بعدها أبداً لأن ماءها أشد بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل ، وأبرد من الثلج ، وأطيب ريحاً من المسك ، لاتنقص بكثرة الشراب ولاتتغير بطول المكث ، شربها يزيد فى نور الوجوه والأجسام ، وينور القلوب والأرواح والأبدان ، الشارب منها يزداد معرفة وقرباً وشوقاً ويقيناً .

فقال تعالى : ﴿ **مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن . وأنهار من لبن لم يتغير طعمه . وأنهار من خمر لذة للشاربين . وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم** ﴾[1] وقال تعالى ﴿ **جنات تجرى من تحتها الأنهار** ﴾[2] .

وأنهار الجنة تتفجر من أعلاها ، ثم تنحدر نازلة إلى أقصى درجاتها ، فقد روى البخارى فى صحيحه من حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال : « **إن فى الجنة مائة درجة أعدها الله عز وجل للمجاهدين فى سبيله بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس ، فإنه وسط الجنة ، وأعلى الجنة ، وفوقه عرش الرحمن ، ومنه تفجر أنهار الجنة** » .

وفى المعجم للطبرانى من حديث الحسن عن سمرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **الفردوس ربوة الجنة وأعلاها وأوسطها ومنها تفجر أنهار الجنة** » .

وفى صحيح البخارى من حديث همام عن قتادة عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : « **بينما أنا أسير فى الجنة إذا أنا بنهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف . فقلت ماهذا ياجبريل ؟ قال : هذا الكوثر[3] الذى أعطاك ربك . قال : فضرب الملك بيده فإذا طينة مسك أذفر** » .

---

(١) سورة محمد : الآية ١٥ . (٢) سورة التحريم : الآية ٨ .

(٣) الكوثر : من الكثرة ، والعرب تسمى كل شيء كثير فى العدد أو القدر :كوثراً ، والكوثر هو : حوض النبى ﷺ وهو رأى جمهور العلماء .

وفى جامع الترمذى من حديث الحريرى عن حكيم بن معاوية عن أبيه عن النبى ﷺ قال «**إن فى الجنة بحر الماء ، وبحر العسل ، وبحر اللبن ، وبحر الخمر ، ثم تشقق الأنهار بعد**» .

وقال الحاكم : حدثنا الأصم ، حدثنا الربيع بن سليمان حدثنا أسد بن موسى ، حدثنا ابن ثوبان ، عن عطاء بن قرة ، عن عبد الله بن سمرة عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **من سره أن يسقيه الله عز وجل من الخمر فى الآخرة فليتركه فى الدنيا ، ومن سره أن يكسوه الله الحرير فى الآخرة فليتركه فى الدنيا ، وأنهار الجنة تفجر من تحت تلال أو تحت جبال المسك ، ولو كان أدنى أهل الجنة حلية عدلت بحلية أهل الدنيا جميعاً لكان مايحليه الله به فى الآخرة أفضل من حلية أهل الدنيا جميعاً** » .

وعن عمر بن عوف عن أبيه ، عن جده ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **أربعة جبال من جبال الجنة ، وأربعة أنهار من أنهار الجنة ، وأربعة ملاحم من ملاحم الجنة ، قيل فمن الأجبل ؟ جبل أحد ، يحبنا ونحبه ، والطور : جبل من جبال الجنة ولبنان : جبل من جبال الجنة (والجودى : جبل من جبال الجنة ؟ والأنهار : النيل والفرات : وسيحان وجيحان والملاحم : بدر ، وأحد ، والخندق ، وخيبر)** ا. هـ »[١] .

* وعن حكيم بن معاوية ، عن أبيه عن جده عن النبى ﷺ قال : « **إن فى الجنة بحر الماء ، وبحر اللبن ، وبحر العسل ، وبحر الخمر ، ثم تنشق الأنهار بعد ذلك** ا. هـ »[٢] .

* وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **سيحان وجيحان والنيل والفرات كل من أنهار الجنة** » ا. هـ[٣] .

* وفى حديث الإسراء عن أنس : (فإذا هو فى السماء الدنيا بنهرين يَطَّرِدَان ، فقال : ماهذان ياجبريل ؟ قال : النيل والفرات عنصرهما ، ثم مضى فى

(١) ذكره إسماعيل بن إسحاق ، وأورده القرطبى فى التذكرة .

(٢) أخرجه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

(٣) رواه مسلم .

السماء ، فإذا هو بنهر آخر عليه قصر من اللؤلؤ والزبرجد فضرب بيده فإذا هو مسك أذفر ، قال : ماهذا ياجبريل ؟ قال : هذا الكوثر الذى خبأ لك ربك) ا. هـ[1]

*** * * ***

* قال العلامة ابن القيم فى (حادى الأرواح) .

وأما العيون فقد قال تعالى : ﴿ **إن المتقين فى جنات وعيون** ﴾[2] ، وقال تعالى : ﴿ **إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً ، عيناً يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً** ﴾[3] .

وقال بعض السلف : معهم قضبان الذهب حيثما مالوا مالت معهم ، وقد اختلف فى قوله ﴿ **يشرب بها** ﴾ .

قال الكوفيون : الباء بمعنى من أى : يشرب منها .

وقال آخرون : بل الفعل مضمن ، معنى يشرب بها . أى يروى بها ، ضمنه معناه وعداه تعديته ، وهذا أصح وألطف وأبلغ .

وقالت طائفة : الباء للظرفية ، والعين اسم للمكان ، كما يقول : كنا بمكان كذا وكذا ، ونظير هذا التضمين قوله تعالى : ﴿ **ومن يرد فيه بإلحاد بظلم** ﴾[4] ضمن معنى يهم ، فعدى تعديته وقال تعالى ﴿ **ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً ، عيناً فيها تسمى سلسبيلاً** ﴾[5] .

فأخبر الحق سبحانه وتعالى عن العين التى يشرب بها المقربون صرفاً أن شراب الأبرار يمزج منها ، لأن أولئك أخلصوا الأعمال كلها فأخلص شرابهم ، وهؤلاء مزجوا شرابهم ، ونظير ذلك قوله تعالى : ﴿ **إن الأبرار لفى نعيم على الأرائك ينظرون ، تعرف فى وجوههم نضرة النعيم ، يسقون من رحيق مختوم ، ختامه مسك وفى ذلك فليتنافس المتنافسون ، ومزاجه من تسنيم ، عيناً يشرب بها المقربون** ﴾[6] .

---

(١) رواه البخارى .

(٢) سورة الحجر : الآية ٤٥ .

(٣) سورة الإنسان : الآيتان ٥ – ٦ .

(٤) سورة الحج : الآية ٢٥ .

(٥) سورة الإنسان : الآية ١٧ – ١٨ .

(٦) سورة المطففين : الآيات ٢٢ – ٢٨ .

فأخبر سبحانه عن مزاج شرابهم بشيئين ؟ بالكافور فى أول السورة ، والزنجبيل فى آخرها ، فإن فى الكافور من البرد وطيب الرائحة ، وفى الزنجبيل من الحرارة وطيب الرائحة ، ومايحدث لهم باجتماع الشرابين .

ومجيء أحدهما على أثر الآخر حالة أخرى أكمل وأطيب وألذ من كل منهما بانفراده ويعدل كيفية كل منهما بكيفية الاخر ، وماألطف موقع ذكر الكافور فى أول السورة ، والزنجبيل فى آخرها ، فإن شرابهم مزج أولاً بالكافور ، وفيه من البرد مايجيء الزنجبيل بعده فيعدله .

والظاهر أن الكأس الثانية غير الأولى ، وأنها نوعان لذيذان من الشراب أحدهما : مزج بكافور ، والثانى : بزنجبيل أيضاً فإنه سبحانه أخبر عن مزج شرابهم بالكافور وبرده فى مقابلة ماوصفهم به من حرارة الخوف ، والإيثار ، والصبر ، والوفاء بجميع الواجبات التى نبه على وفائهم بأضعفها ، وهو ماأوجبوه على أنفسهم بالنذر على الوفاء بأعلاها ، وهو ماأوجبه الله عليهم . ولهذا قال تعالى :

﴿ **وجزاهم بما صبروا جنةً وحريراً** ﴾[1] .

* فإن فى الصبر من الخشونة وحبس النفس عن شهواتها مااقتضى أن يكون فى جزائهم من سعة الجنة ، ونعومة الحرير مايقابل ذلك الحبس والخشونة وجمع لهم بين النضرة والسرور ، وهذا جمال ظواهرهم ، وهذا حال بواطنهم كما جملوا فى الدنيا ظواهرهم بشرائع الإسلام ، وبواطنهم بحقائق الإيمان ا. هـ .

* * * *

* فالحق أن الصبر مفتاح للفرج أياً كان نوعه ، وطريق سهل — إن استطاع المؤمن — لنيل المقاصد ، وطلب الصعاب ، وقد كان الأولون يصبرون فملكوا البلاد وسادوا العباد ، ألم يقل القائل :-

ألا بالصبر تبلــغ ماتريـــد وبالتَّقْوَى يلين لك الحديـد ؟

* * * *

---

(١) سورة الإنسان : الآية ١٢ .

نســـاء أهـــل الجنـــة

وعد الله عباده المؤمنين بالحور[1] العين[2] فى الجنة أنشأهن الله إنشاء وطبعهن على أجمل صورة لو أشرقت واحدة منهن على عالم الكون لملأته نورا وضياء ، طيبات الروائح عطرات الأردان والخطرات يستغرق حسنهن الباهر كل لب ، ويسبى جمالهن كل عقل ، ويستهوى كل قلب .

قال تعالى : ﴿ **إن المتقين فى مقام أمين ، فى جنات وعيون ، يلبسون من سندس وإستبرق متقابلين ، كذلك وزوجناهم بحور عين ، يدعون فيها بكل فاكهة آمنين ، لايذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ووقاهم عذاب الجحيم** ﴾[3] .

وقال تعالى : ﴿ **وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابهاً ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون** ﴾[4] .

وقال تعالى فى وصفهن : ﴿ **وحور عين ، كأمثال اللؤلؤ المكنون** ﴾[5] .

وقال تعالى : ﴿ **إنا أنشأناهن إنشاء . فجعلناهن أبكارا عُرُباً أترابا ، لأصحاب اليمين** ﴾[6] .

وقال تعالى فى وصفهن أيضا : ﴿ **فيهن خيرات حسان** ﴾[7] ﴿ **حور مقصورات فى الخيام** ﴾[8] ، ﴿ **لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان** ﴾[9] .

---

(١) الحور : جمع حوراء وهى المرأة الشابة الحسناء الجميلة البيضاء شديدة سواد العين ، وقال البخارى : هى التى يحار فيها الطرف ، وقال مجاهد : هى التى يحار فيها الطرف من رقة الجلد ، وصفاء اللون .

(٢) العين : جمع عيناء ، وهى واسعة العين حسناؤها .

(٣) سورة الدخان : الآيات ٥١ - ٥٦ .

(٤) سورة البقرة : الآية ٢٥ .

(٥) سورة الواقعة : الآيتان ٢٢ - ٢٣ .

(٦) سورة الواقعة : الآيات ٣٥ - ٣٨ .

والعُرُب : جمع عروب وهى المتحببة إلى زوجها ، والأتراب : المستويات السن .

(٧) سورة الرحمن : الآية ٧٠ .

(٨) سورة الرحمن : الآية ٧٢ .

(٩) سورة الرحمن : الآية ٧٤ .

عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لغدوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا ومافيها ولقاب قوس أحدكم أو موضع قدم من الجنة خير من الدنيا ومافيها ، ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأت ما بينهما ريحا[1] ولنصيفها[2] على رأسها خير من الدنيا ومافيها** » رواه البخارى .

وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « **إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، والتى تليها على أضوء كوكب درى فى السماء ولكل امرىء منهم زوجتان اثنتان ، يرى مخ سوقهما من وراء اللحم ، وما فى الجنة أعزب** » .

وعن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « **للرجل من أهل الجنة زوجتان من الحور العين ، على كل واحدة سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء الثياب** » رواه الإمام أحمد .

وقال محمد بن النعمان المقرى : كنت قاعداً عند الجلا المقرى بمكة فى المسجد الحرام إذ مر بنا شيخ طويل نحيل الجسم عليه أطمار خلقة فقام إليه الجلا ووقف معه ساعة ثم انصرف إلينا فقال : هل تعرفون من هذا الشيخ ؟ فقلنا : لا ، فقال : ابتاع من الله حوراء بأربعة آلاف ختمة ، فلما أكملها رآها فى المنام فى حليها وحللها فقال : لمن أنت؟ فقالت : أنا الحوراء التى ابتعتنى من الله تعالى بأربعة آلاف ختمة . هذا الثمن فما نحلتى أنا منك ؟ قال : ألف ختمة قال الجلا : فهل يعمل فيها بعد ؟ .

* ويروى عن ثابت أنه قال : كان أبى من القوامين لله فى سواد الليل ، قال : رأيت ذات ليلة فى منامى امرأة لاتشبه النساء ، فقلت لها : من أنت ؟ فقالت : حوراء أمة الله ، فقلت لها : زوجينى نفسك ، فقالت : اخطبنى من عند ربى وأمهرنى فقلت : ومامهرك ؟ فقالت : طول التهجد .

* ولله در من قال :

ياخاطب الحور فى خدرها   وطالباً ذاك على قدرها

(١) أى عطراً .   (٢) النصيف : الخمار .

انهض بجد لاتكـــن وانيــاً وجاهـد النـفس على صبرها
وجـانب النـاس وارفضهـــم وحالـف الوحـدة فى ذكرهـا
وقـم إذا الليـل بدا وجهـــه وصم نهاراً فهـو من مهرها
فلـــو رأت عينـــاك إقبـــالها وقـد بدت رمانتا صدرهـــا
وهـــى تماشى بين أتـــرابها وعقدهـــا يشرق فى نحرهـــا
لهان فى نفسك هذا الـــذى تراه فى دنيـــاك من زهرهـــا

* وقال مالك بن دينار :

كان لى أحزاب أقرؤها كل ليلة ، فنمت ذات ليلة ، فإذا أنا فى المنام بجارية ذات حسن وجمال وبيدها رقعة ، فقالت : أتحسن أن تقرأ ؟ فقلت : نعم ، فدفعت إلى الرقعة ، فإذا فيها مكتوب هذه الأبيات :

لهاك النوم عن طلب الأمـانى وعن تلك الأوانس فى الجنان
تعـــيش مخلـــداً لاموت فيها وتلهـو فى الخيـام مع الحسان
تَنَبَّـــهْ من منـــامك إنَّ خيراً من النـوم التهجدُ بالقـــرآن

* قال ابن القيم :

وقوله تعالى : ﴿ **وزوجناهم بحور عين** ﴾[1] ، قال أبو عبيدة : جعلناهم أزواجاً كما يزوج النعل بالنعل جعلناهم اثنين اثنين ، وقال يونس : قرناهم بهن وليس من عقد التزويج ، قال : والعرب لاتقول : تزوجت بها وإنما تقول تزوجتها ، قال ابن نصر : هذا والتنزيل يدل على ماقاله يونس وذلك قوله تعالى : ﴿ **فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها** ﴾[2] ، ولو كان على تزوجت بها لقال زوجناك بها ، وقال ابن سلام : تميم تقول : تزوجت امرأة وتزوجت بها ، وحكاه الكسائى أيضاً ، وقال الزهرى : تقول العرب : زوجته امرأة وتزوجت امرأة وليس من كلامهم : تزوجت بامرأة ، وقوله : ﴿ **وزوجناهم بحور عين** ﴾ أى قرناهم ، وقال الفراء : هى لغة فى أزدشَنُوأة[3] ، قال الواحدى : وقول أبى عبيدة فى هذا أحسن ، لأنه جعله من التزويج الذى هو بمعنى جعل الشيء زوجاً ،

(١) سورة الدخان : الآية ٥٤ . (٢) سورة الأحزاب : الآية ٣٧ .
(٣) أزد : أزدبن الغوث ، وبالسين أفصح : أبوحى باليمن . ومن أولاده الأنصار كلهم ويقال : أزْدشَنُوأة .

لابمعنى عقد النكاح، ومن هذا يجوز أن يقال: كان فرداً فزوجته بآخره، كما يقال : شفعته بآخر ، وإنما تمتنع بالباء عند من يمنعها ، إذا كان بمعنى عقد التزويج . **ثم قال معقباً :**

* ولا يمتنع أن يراد الأمران معاً ، فلفظ التزويج يدل على النكاح ، كما قال مجاهد : أنكحناهم الحور ، ولفظ الباء تدل على الاقتران والضم ، هذا أبلغ من حذفها ، والله أعلم .

وقال تعالى : ﴿ **فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان ، فبأى آلاء ربكما تكذبان كأنهن الياقوت والمرجان** ﴾[1] ، وصفهن سبحانه بقصر الطرف فى ثلاثة مواضع :

أحدها : هذا .

والثانى : قوله تعالى فى الصافات ﴿ **وعندهم قاصرات الطرف عين** ﴾[2] .

والثالث : قوله تعالى فى ص ﴿ **وعندهم قاصرات الطرف أتراب** ﴾[3] .

والمفسرون كلهم على أن المعنى قَصَرْنَ طرفهن على أزواجهن فلا يطمحن إلى غيرهم ، وقيل : قصرن طرف أزواجهن عليهن فلا يدعهم حسنهن وجمالهن أن ينظروا إلى غيرهن ، وهذا صحيح من جهة المعنى ، وأما من جهة اللفظ : فقاصرات صفة مضافة إلى الفاعل ، لحسان الوجوه وأصله قاصر طرفهن أى ليس بطامح متعد . ا. هـ .

هل تموت الحور العين ؟

* قال الإمام أحمد : والحور العين لا يمتن عند النفخة للصور ، لأنهن خلقن للبقاء ، وفى الآية ـــ ﴿ **لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان** ﴾[4] ـــ دليل لما ذهب إليه الجمهور ، أن مؤمن الجن فى الجنة كما أن كافرهم فى النار .

* وبوب البخارى فى صحيحه فقال : باب ثواب الجن وعقابهم ، نَصَّ عليه غير واحد من السلف ، قال ضمرة بن حبيب : وقد سئل : هل للجن ثواب ؟

---

(١) سورة الرحمن : الآيات ٥٦ – ٥٨ .
(٢) سورة الصافات : الآية ٤٨ .
(٣) سورة ص : الآية ٥٢ .
(٤) سورة الرحمن : الآية ٧٤ .

فقال نعم ، وقرأ هذه الآية ، ثم قال : الإنسيات للإنس والجنيات للجن ، وقال مجاهد فى هذه الآية : إذا جامع الرجل ولم يسم انطوى الجان على إحليله فجامع معه ، والضمير فى قوله ﴿ **قبلهم** ﴾ للمعنيين بقوله ﴿ **متكئين** ﴾ وهم هؤلاء النسوة .

أفضل ما فى الجنة

ذكر الله سبحانه وتعالى أنه أعد لأهل الجنة ماهو أعظم نعيما ولذة منها وهو الرضوان ، والرضوان هو التمتع برؤية وجهه الكريم الذى يغمر الوجوه نضارة وإشراقا ، فهذا نعيم ليس بعده نعيم وسعادة ليس بعدها سعادة ، لأن نعيم الجنة لايعد شيئا بجانب متعة النظر إلى وجه الله تعالى وسماع كلامه والشعور برضاه .

قال تعالى : ﴿ **وجوه يومئذ ناضرة . إلى ربها ناظرة** ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ **والله يدعوا إلى دار السلام ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم ، للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولايرهق وجوههم قتر ولاذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون** ﴾[2] فالحسنى الجنة ، والزيادة النظر إلى وجهه الكريم .

وسئل مالك بن أنس عن قوله تعالى : ﴿ **إلى ربها ناظرة** ﴾ فقال : من يقولون : إلى ثوابه ، كذبوا فأين هم من قوله تعالى : ﴿ **كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون** ﴾[3] ؟ ثم قال : الناس ينظرون إلى الله يوم القيامة بأعينهم ، وقال : لو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعير الله الكفار بالحجاب ، فقال : ﴿ **كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون** ﴾ .

وعن أبى سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (**إن الله تعالى يقول لأهل الجنة : ياأهل الجنة ، فيقولون : لبيك ربنا وسعديك والخير كله فى يديك فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون : ومالنا لانرضى يارب وقد أعطيتنا مالم تعط أحداً من خلقك؟ فيقول : ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون : يارب وأى**

(١) سورة القيامة : الآيتان ٢٢ - ٢٣ .
(٢) سورة يونس : الآيتان ٢٥ - ٢٦ .
(٣) سورة المطففين : الآية ١٥ .

شيء أفضل من ذلك ؟ فيقول : أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبداً) . « متفق عليه » .

وعن صهيب رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى : تريدون شيئا أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار ؟ فيكشف الحجاب ، فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم » . « رواه مسلم » .

وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة وأبى سعيد إن ناساً قالوا : يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: هل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر؟ قالوا لا: يارسول الله، قال: «هل تضارون فى رؤية الشمس ليس دونها سحاب ؟ قالوا : لا ، قال : فإنكم ترونه كذلك ، يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول : من كان يعبد شيئا فليتبعه ، فليتبع من كان يعبد الشمس الشمس ، ويتبع من كان يعبد القمر القمر ، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيث ، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله تعالى فى صورة غير صورته التى يعرفون ، فيقول : أنا ربكم فيقولون : نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فإذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله عز وجل فى صورته التى يعرفون ، فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : أنت ربنا فيتبعونه ، ويضرب الصراط بين ظهرانى جهنم ، فأكون أنا وأمتى أول من يجيز ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ودعوى الرسل يومئذ : اللهم سلم سلم ، وفى جهنم كلاليب[1] مثل شوك السعدان[2] هل رأيتم السعدان ؟ قالوا : نعم يارسول الله . قال : فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لايعلم قدر عظمها إلا الله عز وجل ، تخطف الناس بأعمالهم فمنهم الموبق بعمله ، ومنهم المجازى حتى ينجو ، فإذا فرغ الله من القضاء بين العباد ، وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار ، أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لايشرك بالله شيئا فمن أراد الله أن يرحمه ممن يقول : لا إله إلا الله ، فيعرفونهم بأثر السجود ، وتأكل النار من ابن آدم إلا أثر السجود ، حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود ، فيخرجون من النار قد

---

(١) الكلاليب : جمع كلوب وهو الحديدة المعوجَّة الرأس كالخطاف .

(٢) السعدان : نبت ترعاه الإبل له شوك .

امتحشوا[١] فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون كما تنبت الحبة فى حميل السيل[٢] .

ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار ، وهو آخر أهل الجنة دخولا الجنة ، فيقول : أى رب اصرف وجهى عن النار ، فإنه قد قشبنى ريحها[٣] وأحرقنى ذكاؤها[٤] ، فيدعو الله ماشاء أن يدعوه ، ثم يقول تبارك وتعالى : هل عسيت إن فعلت ذلك أن تسأل غيره ؟

فيقول : لاأسألك غيره ، فيعطى ربه من عهود ومواثيق ماشاء الله ، فيصرف الله وجهه عن النار، فإذا أقبل على الجنة ورآها سكت ماشاء الله أن يسكت ، ثم يقول : أى رب قدمنى إلى باب الجنة ، فيقول الله : أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك لاتسألنى غير الذى أعطيتك ؟ ويلك يابن آدم ماأعذرك !! فيقول : أى رب فيدعو الله حتى يقول له : فهل عسيت أن أعطيتك ذلك أن تسألنى غيره ؟ فيقول : لاوعزتك ، فيعطى ربه ماشاء من عهود ومواثيق فيقدمه إلى باب الجنة ، فإذا قام على باب الجنة انفقهت[٥] له الجنة فرأى مافيها من الخير والسرور ، فسكت ماشاء الله أن يسكت ، ثم يقول : أى رب أدخلنى الجنة فيقول الله تبارك وتعالى له : أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك أن لاتسألنى غير ماأعطيت ؟ ويلك يابن آدم ماأغدرك !! فيقول : أى رب ، لاأكون أشقى خلقك فلا يزال يدعو الله حتى يضحك الله منه ، فإذا ضحك الله منه قال : ادخل الجنة ، فإذا دخلها قال الله له : تمن ، فيسأل ربه ويتمنى حتى إن الله ليذكره فيقول : تمن كذا وكذا حتى إذا انقطعت به الأمانى ، قال عز وجل : ذلك لك ومثله معه .

قال أبو سعيد : وعشرة أمثاله معه .

وقال عطاء بن يزيد وأبو سعيد الخدرى مع أبى هريرة لا يرد عليه من حديثه شيئا حتى إذا حدث أبو هريرة قال : إن الله عز وجل قال لذلك الرجل ومثله

---

(١) امتحشوا : أى احترقوا حتى ذهب الجلد وظهر العظم .

(٢) أى مايحمله السيل ويجىء به من طين وغيره فإذا اتفق أن حبة استقرت على شط مجرى النيل فإنها تنبت فى يوم وليلة فيشبه بها سرعة عود أبدانهم إليهم بعد احتراقها .

(٣) قشبنى ريحها : أى سمنى وأفسدنى .

(٤) ذكاؤها : شدة وهجها .

(٥) انفقهت : انفتحت .

معه . قال أبو سعيد وعشرة أمثاله معه يا أبا هريرة ما حفظت إلا قوله ذلك لك ومثله معه . قال أبو سعيد : أشهد أنى حفظت من رسول الله ﷺ قوله : « **ذلك لك وعشرة أمثاله ، قال أبو هريرة : وذلك الرجل آخر أهل الجنة دخولا الجنة** » .

◘ ولدينا مزيد

* قال عبد الله بن عقبة عن ابن مسعود : تسارعوا إلى الجمعة فإن الله يبرز لأهل الجنة كل يوم جمعة فى كثيب من كافور أبيض فيكونون معه فى القرب قال ابن المبارك : على قدر تسارعهم إلى الجمعة فى الدنيا .

* وقال يحيى بن سلام : كمسارعتهم إلى الجمعة فى الدنيا وزاد : فيحدث لهم شيئاً من الكرامة لم يكونوا رأوه قبل ذلك . قال يحيى : وسمعت غير المسعودى يزيد فيه وهو قوله تعالى : ﴿ **ولدينا مزيد** ﴾ . وقال الحسن فى قوله تعالى : ﴿ **للذين أحسنوا الحسنى وزيادة** ﴾[1] قال : الزيادة ، النظر إلى وجه الله عز وجل وليس شىء أحب إلى أهل الجنة من يوم الجمعة يوم المزيد لأنهم يرون فيه الجبار جل جلاله وتقدست أسماؤه .

◘ رأى الصحابة

* سئل أبو بكر الصديق رضى الله عنه عن قوله تعالى : ﴿ **للذين أحسنوا الحسنى وزيادة** ﴾ فقال : النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى .

* وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه : من تمام النعمة دخول الجنة ، والنظر إلى وجه الله تبارك وتعالى فى جنته .

* وقال حذيفة بن اليمان رضى الله عنه : الزيادة النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى .

* وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : والله ما منكم من إنسان إلا أن ربه سيخلو به يوم القيامة كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر ، قال « **فيقول ما غرك بى يابن آدم ثلاث مرات ، ماذا أجبت المرسلين ثلاثاً ، كيف عملت فيما علمت ؟** » .

---

(١) سورة يونس : الآية ٢٦ .

* وقال ابن عباس رضى الله عنهما لسائل عن رؤية الله فى الجنة : نعم .

* وقال المغيرة مسلم بن ميمونة بن أبى حمزة : كنت جالساً عند أبى وائل فدخل علينا رجل يقال له أبو عفيف ، فقال له شقيق بن سلمة : ياأبا عفيف ألا تحدثنا عن معاذ بن جبل ، قال : بلى سمعته يقول : يحشر الناس يوم القيامة فى صعيد واحد فينادى : أين المتقون ، فيقومون فى كنف[1] واحد من الرحمن لا يحتجب الله منهم ، ولا يستتر ، قلت : من المتقون ؟ قال : قوم اتقوا الشرك وعبادة الأوثان ، وأخلصوا لله فى العبادة فيمرون إلى الجنة .

* وقال أبو هريرة : « لن تروا ربكم حتى تذوقوا الموت » .

* وقال عبد الله بن عمر : « إن أدنى أهل الجنة منزلة من ينظر إلى ملكه ألفى عام يرى أدناه كما يرى أقصاه ، وإن أفضلهم منزلة لمن ينظر إلى وجه الله فى كل يوم مرتين » .

* وقال أبو موسى الأشعرى : الزيادة النظر إلى وجه الله .

▣ رأى التابعين

* كتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله : أما بعد فإنى أوصيك بتقوى الله ولزوم طاعته والتمسك بأمره . والمعاهدة على ماحملك الله من دينه ، واستحفظك من كتابه فإن بتقوى الله نجا أولياء الله من سخطه ، وبها رافقوا أنبياءه ، وبها نضرت وجوههم ونظروا إلى خالقهم ، وهى عصمة فى الدنيا من الفتن ومن كرب يوم القيامة .

* وقال الحسن : لو علم العابدون فى الدنيا أنهم لا يرون ربهم فى الآخرة لذابت أنفسهم فى الدنيا .

* وسئل الإمام مالك عن قوله تعالى : ﴿ **وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة** ﴾[2] أتنظر إلى الله عز وجل ؟ قال : نعم ، فقيل : إن أقواماً يقولون : تنظر ماعنده ، قال بل تنظر إليه نظراً ، وقد قال موسى ﴿ **رب أرنى أنظر إليك** ﴾ ، **فقال الله سبحانه وتعالى** : ﴿ **لن ترانى** ﴾ ، وقال الله تعالى : ﴿ **كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون** ﴾[3] .

(١) الكنف : الجانب أى فى جانب الرحمن .
(٢) سورة القيامة : الآيتان ٢٢ – ٢٣ .
(٣) سورة المطففين : الآية ١٥ .

* وقال الإمام الشافعي فى قوله تعالى : ﴿ **كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون** ﴾[1] لما حجب هؤلاء فى السخط ، كان فى هذا دليل على أن أولياء الله يرونه فى الرضا قال الربيع فقلت : ياأبا عبد الله وتقول به ؟ قال : نعم وبه أدين الله ولو لم يوقن محمد بن إدريس ـــ أى عن نفسه ـــ أنه يرى الله عز وجل لما عبده .

* وقال الإمام أحمد بن حنبل رداً على سؤال : أهل الجنة ينظرون إلى ربهم تبارك وتعالى ويكلمونه ويكلمهم ـــ قال : نعم ، ينظر إليهم وينظرون إليه ويكلمهم ويكلمونه كيف شاءوا إذا شاءوا .

* وقال أيضاً : القوم يرجعون إلى التعطيل أقوالهم ينكرون الرؤية والآثار كلها ، وماظننتم على هذا حتى سمعت مقالاتهم .

● مســـــائل ●

المسألة الأولى :

هل خلقت الجنة أم لم تخلق بعد ؟

* هناك من ذهب إلى أن الجنة لم تخلق بعد ومن أقوالهم وأدلتهم :

(ا) **قالوا** : لو كانت الجنة مخلوقة الآن لوجب اضطراراً أن تفنى يوم القيامة ، وأن يهلك كل مافيها ويموت لقوله تعالى : ﴿ **كل شيء هالك إلا وجهه** ﴾[2] و﴿ **كل نفس ذائقة الموت** ﴾[3] ، فتموت الحور العين التى فيها والولدان ، وقد أخبره الله سبحانه أنها دار خلود ، ومن فيها مخلدون لايموتون فيها وخبره سبحانه لايجوز عليه خلف ولانسخ .

(ب) **وقالوا** :وقد روى الترمذى فى جامعه من حديث ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « **لقيت إبراهيم ليلة أسرى بى فقال : يامحمد أقرىء أمتك منى السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة ، عذبة الماء ، وأنها قيعان ، وأن غراسها : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر** » قال : هذا الحديث حسن غريب .

---

(١) السابقة .　　(٢) سورة القصص : الآية ٨٨ .　　(٣) سورة آل عمران : الآية ١٨٥ .

وفيه أيضاً من حديث أبى الزبير عن جابر عن النبى ﷺ أنه قال : « **من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة فى الجنة** » قال : هذا حديث حسن صحيح .

* وهذه جملة مركبة من شرط وجزاء تقتضى وقوع الجزاء بعد الشرط

(جـ) **وقالوا** : فلو كانت مخلوقة مفروغاً منها لم تكن قيعاناً ، ولم يكن لهذا الغرس معنى ، وقد قال الله تعالى عن امرأة فرعون إنها قالت : ﴿ **رب ابن لى عندك بيتاً فى الجنة** ﴾[1] ، ومحال أن يقول قائل لمن نسج له ثوباً أو بنى له بيتاً : انسج لى ثوباً وابن لى بيتاً ، وأصرح من هذا قول النبى ﷺ : « **من بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً فى الجنة** » ا. هـ . متفق عليه .

بإجماع أهل العربية ، وهذا ثابت عن النبى ﷺ من رواية عثمان بن عفان ، وعلى ابن أبى طالب وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك ، وعمرو بن عنبسة .

ــ ويرد العلامة ابن القيم على هذا الزعم فيقول :

* ماتعنون بقولكم إن الجنة لم تخلق بعد ، أتريدون أنها الآن عدم محض لم تدخل إلى الوجود بعد ؟ بل هى بمنزلة النفخ فى الصور ، وقيام الناس من القبور ؟ فهذا قول باطل يرده المعلوم بالضرورة من الأحاديث الصريحة الصحيحة ، وهذا قول لم يقله أحد من السلف ولاأهل السنة وهو باطل قطعاً ، أم تريدون أنها لم تخلق بكمالها ، وجميع ماأعد الله لأهلها ، وأنها لا يزال الله يحدث فيها شيئاً بعد شيء ، وإذا دخلها المؤمنون أحدث الله فيها عند دخولهم أموراً أخرى فهذا حق لايمكن رده .

* وقال : وأما احتجاجكم بقوله تعالى : ﴿ **كل شيء هالك إلا وجهه** ﴾ فإنما أتيتم من عدم فهمكم معنى الآية ، واحتجاجكم بها على عدم وجود الجنة والنار نظير احتجاج إخوانكم بها على فنائهما وخرابهما وموت أهلهما ، فلا أنتم وفقتم لفهم معناها ، ولاإخوانكم ، وإنما وفق لفهم معناها السلف وأئمة الإسلام .

* قال البخارى فى صحيحه : يقال ﴿ **كل شيء هالك إلا وجهه** ﴾ : إلا ملكه ، وقال : إلا ماأريد به وجهه .

* وقال الإمام أحمد : ﴿ **كل شيء هالك إلا وجهه** ﴾ فذلك أن الله سبحانه

---

(١) سورة التحريم : الآية ١١ .

وتعالى أنزل ﴿ **كل من عليها فان** ﴾[1] ، وقالت الملائكة : هلك أهل الأرض وطمعوا فى البقاء ، فأخبر الله تعالى عن أهل السموات وأهل الأرض أنهم يموتون فقال : كل شيء هالك ـــ يعنى ميت ـــ إلا وجهه ، لأنه حى لا يموت ، فأيقنت الملائكة عند ذلك بالموت .

وقال أيضاً : فإن احتج مبتدع أو زنديق بقول الله عز وجل ﴿ **كل شىء هالك إلا وجهه** ﴾ وبنحو هذا من تشابه القرآن قيل له : كل شىء مما كتب الله عليه الفناء والهلاك هالك ، والجنة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء ولا للهلاك وهما من الآخرة لا من الدنيا ، والحور العين لا يمتن عند قيام الساعة ، ولا عند النفخة ولا أبداً ، لأن الله عز وجل خلقهن للبقاء ، ولم يكتب عليهن الموت .

* فمن قال خلاف هذا فهو مبتدع ، وقد ضل سواء السبيل وخلق سبع سماوات بعضها فوق بعض وسبع أرضين بعضها أسفل من بعض ، وبين الأرض العليا والسماء الدنيا مسيرة خمسمائة عام ، وبين كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة عام ، والماء فوق السماء العليا السابعة ، وعرش الرحمن عز وجل فوق الماء ، وأن الله عز وجل على العرش والكرسى موضع قدميه ، وهو يعلم ما فى السماوات والأرضين السبع وما بينهما وما تحت الثرى ، وما فى قعر البحر ، ومنبت كل شعرة وشجرة ، وكل زرع وكل نبات ومسقط كل ورقة ، وعدد كل كلمة وعدد الحصا والتراب والرمل ومثاقيل الجبال وأعمال العباد وآثارهم وكلامهم وأنفاسهم ، ويعلم كل شيء لا يخفى عليه من ذلك شيء ، وهو على العرش فوق السماء السابعة ودونه حجب من نار ، ونور وظلمة ، وما هو أعلم بها ، فإن احتج مبتدع ومخالف بقول الله عز وجل : ﴿ **ونحن أقرب إليه من حبل الوريد** ﴾[2]. وقوله : ﴿ **وهو معكم أين ما كنتم** ﴾[3] وقوله : ﴿ **ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ، ولا خمسة إلا هو سادسهم** ﴾[4] ، ونحو هذا من متشابه القرآن فقل : إنما يعنى بذلك العلم ، لأن الله عز وجل على العرش فوق السماء السابعة العليا ، يعلم ذلك كله وهو بائن من خلقه لا يخلو من علمه مكان ا. هـ .

---

(١) سورة الرحمن : الآية ٢٦ .
(٢) سورة ق : الآية ١٦ .
(٣) سورة الحديد : الآية ٤
(٤) سورة المجادلة : الآية ٧ .

المسألة الثانية :

هل لأهل الجنة صفة فى الدنيا ؟

ـــ قال ابن وهب : سمعت ابن زيد يقول : وصف الله أهل الجنة بالمخافة والحزن والبكاء والشفقة فى الدنيا ، فأعقبهم به النعيم والسرور فى الآخرة ، وقرأ قول الله عز وجل ﴿ **إنا كنا قبل فى أهلنا مشفقين** ﴾[١] قال : ووصف أهل النار بالسرور فى الدنيا والضحك فيها والتفكه فقال : ﴿ **إنه كان فى أهله مسروراً إنه ظن أن لن يحور بلى** ﴾[٢] .

المسألة الثالثة :

هل تفضل جنة جنةً ؟

ـــ قال الله تعالى : ﴿ **ولمن خاف مقام ربه جنتان** ﴾[٣] ثم وصفهما ، ثم قال بعد ذلك : ﴿ **ومن دونهما جنتان** ﴾[٤] .

ـــ وعن ابن عباس فى تأويل قوله تعالى ﴿ **ولمن خاف مقام ربه جنتان** ﴾ أى بعد أداء الفرائض جنتان ، قيل على حدة ، فلكل خائف جنتان ، وقيل : جنتان لجميع الخائفين ، والأول أظهر .

ـــ قال الترمذى : جنة لخوفه من ربه ، وجنة لتركه لشهوته ، والمقام الموضع : أى خاف مقامه بين يدى ربه للحساب فترك المعصية ، وقيل : خاف قيام ربه عليه ، أى : إشرافه واطلاعه عليه ، بيانه : ﴿ **أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت** ﴾[٥] .

ـــ قال الماوردى : ويحتمل أن يكون ﴿ **ومن دونهما جنتان** ﴾ لأتباعه لقصور منزلتهم عن منزلته ، إحداهما للحور العين ، والأخرى للولدان المخلدين ليتميز فيها الذكور من الإناث .

ـــ **قال القرطبى**[٦] : ولما وصف الله الجنتين أشار إلى الفرق بينهما : فقال فى

---

(١) سورة الطور : الآية ٢٦ .

(٢) سورة الإنشقاق : الآيتان ١٣ – ١٥ .

(٣) سورة الرحمن : الآية ٤٦ .

(٤) سورة الرحمن : الآية ٦٢ .

(٥) سورة الرعد : آية ٣٣ .

(٦) يعلق الإمام القرطبى على قول ابن جريج ويعضده ذلك أنه يرى : « أنه أربع جنات : جنتان منها للسابقين المقربين فيهما من كل فاكهة زوجان وعينان تجريان ، وجنتان لأصحاب اليمين فيهما فاكهة ونخل ورمان ، وفيهما عينان نضاختان ، وساق رأى ابن زيد : الأوليان من ذهب للمقربين ، والأخريان من وَرِق لأصحاب اليمين » ا. هـ .

الأولين ﴿ **فيهما عينان تجريان** ﴾[1] وفى الأخريين ﴿ **فيهما عينان نضاختان** ﴾[2] أى فوارتان بالماء لكنهما ليستا كالجاريتين لأن النضخ دون الجرى ، وقال ﴿ **فيهما من كل فاكهة زوجان** ﴾[3] معروف وغريب أو رطب ويابس ، فعم ولم يخص ، وفى الأخريين ﴿ **فيهما فاكهة ونخل فرش ورمان** ﴾[4] ، ولم يقل من كل فاكهة ، وقال فى الأولين ﴿ **متكئين على فرش بطائنها من إستبرق** ﴾[5] وهو الديباج ، وفى الأخريين ﴿ **متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان** ﴾[6] .

والعبقرى : الوشى ولاشك أن الديباج أعلى من الوشى والرفرف كسر الخباء . ولا شك أن الفرش المعدة للاتكاء عليها أفضل من فضل الخباء ، وقال فى الأولين فى صفة الحور العين ﴿ **كأنهن الياقوت والمرجان** ﴾[7] وفى الأخريين ﴿ **فيهن خيرات حسان** ﴾[8] ، وليس كل حسن كحسن الياقوت والمرجان . وقال فى الأولين ﴿ **ذواتا أفنان** ﴾[9] وفى الأخريين ﴿ **مدهامتان** ﴾ أى خضراوان كأنهما من شدة خضرتهما سوداوان ، ووصف الأولين بكثرة الأغصان والأخريين بالخضرة وحدها ، وفى هذا كله تحقيق للمعنى الذى قصدناه ، فى قوله ﴿ **ومن دونهما جنتان** ﴾[10] ولعل مالم يذكره من تفاوت ما بينهما أكثر مما ذكر .

* **فإن قيل** كيف لم يذكر أهل هاتين الجنتين كما ذكر أهل الجنتين الأولين ؟ قيل : الجنان الأربع لمن خاف ربه ، إلا أن الخائفين لهم مراتب ، فالجنتان الأوليان لأعلى العباد رتبة فى الخوف من الله تعالى ، والجنتان الأخريان لمن قصر حاله على الخوف من الله تعالى : فهذا قول .. والقول الثانى :

أن الجنتين فى قوله تعالى ﴿ **ومن دونهما جنتان** ﴾ أعلى وأفضل من الأولين ، ذهب إلى هذا الضحاك ، وأن الجنتين الأولين من ذهب وفضة ، والأخريين من ياقوت وزمرد .

وقوله ﴿ **ومن دونهما جنتان** ﴾ أى ومن أمامهما ومن قبلهما ، وإلى هذا القول ذهب أبو عبد الله محمد الترمذى الحكيم فى (نوادر الأصول) وقال : معنى

(١) سورة الرحمن : الآية ٥٠ .
(٢) سورة الرحمن : الآية ٦٦ .
(٣) سورة الرحمن : الآية ٥٢ .
(٤) سورة الرحمن : الآية ٦٨ .
(٥) سورة الرحمن : الآية ٥٤ .
(٦) سورة الرحمن : الآية ٧٦ .
(٧) سورة الرحمن : الآية ٥٨ .
(٨) سورة الرحمن : الآية ٧٠ .
(٩) سورة الرحمن : الآية ٤٨ .
(١٠) سورة الرحمن : الآية ٦٢ .

﴿ **ومن دونهما جنتان** ﴾ أى دون هاتين إلى العرش أى أقرب وأدنى إلى العرش ، وقال مقاتل : الجنتان الأوليان جنة عدن وجنة النعيم ، والأخريان جنة الفردوس وجنة المأوى ..

المسألة الرابعة

* من أين تتفجر أنهار الجنة ؟

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقاً على الله أن يدخله الجنة ، هاجر فى سبيل الله أو جلس فى أرضه التى ولد فيها ، قالوا يارسول الله : أفلا نبشر الناس ؟ قال : إن فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيل الله ، مابين الدرجتين كما بين السماء والأرض ، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى وفوق عرش الرحمن** » ا. هـ[1] .

* قال القرطبى :

وقد قيل : إن الفردوس اسم يشمل جميع الجنة ، كما أن جهنم اسم لجميع النيران كلها لأن الله تعالى مدح فى أول سورة المؤمنين أقواماً وصفهم ، ثم قال : ﴿ **هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون** ﴾[2] ثم أعاد ذكرهم فى سورة المعارج فقال ﴿ **أولئك فى جنات مكرمون** ﴾[3] فعلمنا أن الفردوس جنات لا جنة واحدة ، قاله وهب بن منبه .

المسألة الخامسة :

* **ماالمراد** بكلمة ﴿ **مفتحة لهم الأبواب** ﴾ ؟

ــ قال العلامة ابن القيم :

وتأمل قوله سبحانه : ﴿ **جنات عدن مفتحة لهم الأبواب ، متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب** ﴾[4] ، كيف تجد تحته معنى بديعاً ! ، وهو أنهم إذا دخلوا الجنة لم تغلق أبوابها عليهم بل تبقى مفتحة لهم كما هى .

وأما النار فإذا دخلها أهلها أغلقت عليهم أبوابها ، كما قال تعالى : ﴿ **إنها عليهم مؤصدة** ﴾[5] أى مطبقة مغلقة ، ومنه سمى الباب وصيداً وهى : ﴿ **مؤصدة فى عمد مُمددة** ﴾[6] ، فقد جعلت العمد ممسكة للأبواب من خلفها كالحجر العظيم

---

(١) أخرجه البخارى وابن ماجه وغيرهما .
(٢) سورة المؤمنون : الآيتان ١٠ – ١١ .
(٣) سورة المعارج : الآية ٣٥ .
(٤) سورة ص : الآية ٥٠ – ٥١ .
(٥) سورة الهمزة : الآية ٨ .
(٦) سورة الهمزة : الآيتان ٨ – ٩ .

الذى يجعل خلف الباب .

قال مقاتل : يعنى أبوابها عليهم مطبقة ، فلا يفتح لها باب ، ولا يخرج منها غم ، ولا يدخل فيها روح آخر إلى الأبد .

وأيضاً فإن فى تفتيح الأبواب لهم إشارة إلى تصرفهم وذهابهم وإيابهم وتبوئهم فى الجنة حيث شاءوا ، ودخول الملائكة عليهم كل وقت بالتحف والألطاف من ربهم ودخول ما يسرهم عليهم كل وقت .

وأيضاً أشار إلى أنها دار أمن لا يحتاجون فيها إلى غلق الأبواب ، كما كانوا يحتاجون إلى ذلك فى الدنيا .

* وقد اختلف أهل العربية فى الضمير العائد من الصفة على الموصوف فى هذه الجملة :

ـــ فقال الكوفيون : التقدير مفتحة لهم أبوابها ، والعرب تعاقب بين الألف واللام والإضافة فيقولون : مررت برجل حسن العين أى عينه ، ومنه قوله تعالى : ﴿ **فإن الجحيم هى المأوى** ﴾[1] أى مأواه .

وقال بعض البصريين : التقدير مفتحة لهم الأبواب منها فحذف الضمير وما اتصل به ، وقال : وهذا التقدير فى العربية أجود من أن يجعل الألف واللام بدلا من الهاء والألف ، لأن معنى الألف واللام ليس معنى الهاء والألف فى شىء ، لأن الهاء والألف اسم ، والألف واللام دخلتا للتعريف ، ولا يبدل حرف من اسم ولا ينوب عنه .

وقالوا : وأيضاً لو كانت الألف واللام بدلاً من الضمير لوجب أن يكون فى (مفتحة) ضمير الجنات ، ويكون المعنى مفتحة هى ثم أبدل منها الأبواب ، ولو كان كذلك لوجب نصب الأبواب لكون مفتحة قد رفع ضمير الفاعل فلا يجوز أن يرفع به اسم آخر لامتناع ارتفاع فاعلين بفعل واحد ، فلما ارتفع (الأبواب) دل على أن (مفتحة) خال من ضمير (والأبواب) مرتفعة به .

وإذا كان فى الصفة ضمير تعين نصب الثانى كما تقول : مررت برجل حسن الوجه ، ولو رفعت (الوجه) ونونت حسناً لم يجز ، فالألف واللام إذاً للتعريف ليس إلا فلابد من ضمير يعود على الموصوف الذى هو جنات عدن ، ولا ضمير

---

(١) سورة النازعات : الآية ٣٩ .

فى اللفظ فهو محذوف تقديره الأبواب منها .

وعندى أن هذا غير مبطل لقول الكوفيين ، فإنهم لم يريدوا بالبدل إلا أن الألف واللام خلف وعوض عن الضمير تغنى عنه ، وإجماع العرب على قولهم : حسن الوجه وحسن وجهه شاهد بذلك .

وقد قالوا : إن التنوين بدل من الألف واللام بمعنى أنهما لايجتمعان ، وكذلك المضاف إليه يكون بدلاً من التنوين ، والتنوين بدل من الإضافة ، بمعنى التعاقب والتوارد ولا يريدون بقولهم هذا بدل من هذا ، أن معنى البدل معنى المبدل منه ، بل قد يكون فى كل منهما معنى لا يكون فى الآخر .

فالكوفيون أرادوا أن الألف واللام فى « الأبواب » أغنت عن الضمير ، لو قيل أبوابها .. وهذا صحيح ، فإن المقصود الربط بين الصفة والموصوف بأمر يجعلها له لامستقلة ، فلما كان الضمير عائداً على الموصوف نفى توهم الاستقلال ، وكذلك لام التعريف ، فإن كلاً من الضمير واللام يعين صاحبه هذا يعين مفسره ، وهذا يعين ما دخل عليه ، وقد قالوا فى (زيد) نعم الرجل : إن الألف واللام أغنت عن الضمير .. والله أعلم .

المسألة السادسة

* من أى شيء خلقت الحور العين ؟

ــ سئل رسول الله ﷺ عن الحور العين من أى شيء خلقن ؟ فقال من ثلاثة أشياء « **أسفلهن من المسك ، وأوسطهن من العنبر ، وأعلاهن من الكافور ، وشعورهن وحواجبهن سواد خط من نور** » ا. هـ [1] .

وروى عن ابن عباس أنه قال : (خلق الله الحور العين من أصابع رجليها إلى ركبتيها من الزعفران ، ومن ركبتيها إلى ثدييها من المسك الأذفر ، ومن ثدييها إلى عنقها من العنبر الأشهب ، ومن عنقها إلى رأسها من الكافور الأبيض عليها سبعون ألف حلة مثل شقائق النعمان إذا أقبلت يتلألأ وجهها نوراً ساطعاً كما تتلألأ الشمس لأهل الدنيا ، إذا قبلت يرى كبدها من رقة ثيابها وجلدها ، فى رأسها سبعون ألف ذؤابة من المسك الأذفر ، ولكل ذؤابة منها وصيفة ترفع ذيلها وهى تنادى هذا ثواب الأولياء جزاء بما كانوا يعملون) ا. هـ .

---

(١) أخرجه الترمذى .

الباب الرابع
ما أعده الله للمؤمنين فى الجنة

الخمر شراب أهل الجنة :

— عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : « **من لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة ، ومن شرب الخمر فى الدنيا لم يشربه فى الآخرة ، ومن شرب فى آنية من الذهب والفضة لم يشرب بها فى الآخرة ، ثم قال رسول الله ﷺ : هى لباس أهل الجنة وشراب أهل الجنة وآنية أهل الجنة** » ا. هـ[1] .

— عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ : « **من لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة . وإن دخل الجنة لبسه أهل الجنة ولم يلبسه هو** » ا. هـ[2] .

*** قال الإمام القرطبى :**

إن قال قائل : قد سوى النبى ﷺ بين الأشياء الثلاثة وأنه يحرمها فى الآخرة فهل يحرمها إذا دخل الجنة ؟ قلنا : نعم ! إذا لم يتب منها ، لقوله ﷺ : « **من شرب الخمر فى الدنيا ثم لم يتب منها حرمها فى الآخرة** » أخرجه مالك عن نافع عن ابن عمر .

وكذلك لابس الحرير ، ومن أكل فى آنية الذهب والفضة ، أو شرب فيها لاستعماله ماأخر الله فى الآخرة ، وارتكاب ماحرم الله عليه فى الدنيا ثم ساق حديث أبى سعيد الخدرى المتقدم وقال بغده :

فإن كان « **وإن دخل الجنة لبسه أهل الجنة ولم يلبسه** » من قول النبى ﷺ فهو الغاية فى البيان ، وإن كان من قول الراوى وعلى ماذكر أنه موقوف ، فهو أعلم بالمقال ، وأقعد بالحال .

* والمعروف أن خمر الجنة يختلف عن خمر الدنيا ، فلا يسكر ، كذلك نعيم

---

(١) أخرجه النسائى .

(٢) أخرجه أبو داود فى سننه . قال القرطبى : وهذا نص صريح ، وإسناده صحيح .

الجنة كله فالتفاح مثلاً ليس تفاح الدنيا ، وإنما هو صورته ولكنه أشد حلاوة وطعماً أليس هو المعد للمؤمنين ؟ .

الزرع فى الجنة :

ــ عن أبى هريرة رضى الله عنه (أن رسول الله ﷺ كان يوماً يحدث وعنده رجل من أهل البادية أن رجلاً من أهل الجنة استأذن ربه فى الزرع فقال له : أولست فيما شئت؟ قال : بلى ! ولكنى أحب أن أزرع فأسرع وبذر فبادر الطرف نباته واستواؤه واستحصاده وتكويره أمثال الجبال ، فيقول الله : دونك يـٰابن آدم فإنه لا يشبعك شيء فقال الأعرابى يارسول الله : لا تجد هذا إلا قرشياً أو أنصارياً فإنهم أصحاب زرع ، وأما نحن فلسنا بأصحاب زرع ، فضحك رسول الله ﷺ) ا. هـ[1] .

* * * *

كسوة الجنة وكسوة أهلها :

ــ قال تعالى : ﴿**عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق وحلوا أساور من فضة**﴾[2] .

وفى الأثر : أنه أهدى لرسول الله ﷺ سرفة من حرير فجعلوا يتداولونها بينهم فقال رسول الله ﷺ : « **أتعجبون منها ؟ قالوا : نعم يارسول الله : قال والذى نفسى بيده لمناديل سعد بن معاذ فى الجنة خير منها** » ا. هـ[3] .

ــ وفى الأثر أيضاً : أنه أهدى لرسول الله ﷺ ثوب من ديباج كساه إياه كسرى فاجتمع إليه الناس فجعلوا يلمسونه ويعجبون ويقولون يارسول الله : أنزل عليك هذا من السماء ؟ فقال : « **ما تعجبون ! فو الذى نفسى بيده لمناديل سعد بن معاذ فى الجنة خير من هذا** » ا. هـ[4] .

وفرش مرفوعة :

قال القرطبى : أخرج الترمذى عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ فى قوله

---

(١) رواه البخارى .
(٢) سورة الإنسان : الآية ٢١ .
(٣) ذكره ابن هناد السرى عن البراء بن عازب .
(٤) ذكره ابن هناد السرى عن سعد بن معاذ .

تعالى ﴿ **وفرش مرفوعة** ﴾[1] ، ارتفاعها لكما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام ، ا. هـ .

قال أبو عيسى : هذا حديث غريب لانعرفه إلا من حديث رشدين بن سعد .

* وقال بعض أهل العلم : الفرش فى الدرجات وبين الدرجات كما بين السماء والأرض ، قلت ، وقد قيل : إن الفرش كناية عن النساء اللواتى فى الجنة ، والمعنى نساء مرتفعات الأقدار فى حسنهن وكمالهن والعرب تسمى المرأة قماشاً ولباساً وإزاراً ، ونعجة مع الاستعارة لأن الفرش محل النساء .

المؤمن إذا اشتهى الولد فى الجنة :

ـــ أخرج الترمذى عن أبى سعيد الخدرى قال : قال ﷺ (**المؤمن إذا اشتهى الولد فى الجنة كان حمله ووضعه وفصاله فى ساعة كما يشتهى**) ا. هـ . قال الترمذى : حديث حسن غريب أخرجه ابن ماجه ، وقال : فى ساعة واحدة فى الجنة .

قال الترمذى : وقد اختلف أهل العلم فى هذا ، فقال بعضهم فى الجنة جماع ولايكون ولد ، هكذا يروى عن طاووس ومجاهد وإبراهيم النخعى ، وقال محمد . قال إسحاق بن إبراهيم فى حديث النبى ﷺ : « **إذا اشتهى المؤمن الولد فى الجنة كان فى ساعة كما يشتهى ، ولكن لا يشتهى هذا أبداً** » ا. هـ .

وقد روى عن أبى رزين العقيلى عن النبى ﷺ قال : « **إن أهل الجنة لايكون لهم فيها ولد** » والله أعلم ..

* وأقول : ولماذا لا ؟ : فلقد أعد الله للمؤمنين مالا عين رأت ، ولاأذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، وقد دخلوا الجنة لينعموا بما أعده الله لهم ، فلا يحجب عنهم مشتهاهم والله أعلم .

* * * *

المرأة من أهل الجنة ترى زوجها من أهل الدنيا فى الدنيا :

ـــ قال ابن زيد : يقال للمرأة من أهل الجنة وهى فى السماء : أتحبين أن نريك

(١) سورة الواقعة : الآية ٣٤ .

زوجك من أهل الدنيا ؟ فتقول : نعم فيكشف لها عن الحجب . ويفتح الأبواب بينها وبينه حتى تراه وتعرفه وتعاهده بالنظر حتى تستبطيء قدومه وتشتاق إليه كما تشتاق المرأة إلى زوجها الغائب عنها ، ولعله يكون بينه وبين زوجته فى الدنيا مايكون بين النساء وأزواجهن من مكالمة أو مخاصمة فتغضبه زوجته التى فى الدنيا فشق ذلك عليها ، وتقول : ويحك دعيه من شرك إنما هو معك ليال قلائل .

وهذا الأثر أخرج بمعناه الترمذى وابن ماجه عن معاذ بن جبل قال : « لاتؤذى امرأة زوجها فى الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين : لاتؤذيه قاتلك الله ، فإنما هو دخيل عندك يوشك أن يفارقك إلينا » ا. هـ . قال أبو عيسى : حديث غريب .

* * * *

طير الجنة وخيلها وإبلها :

عن أنس بن مالك قال : سئل رسول الله ﷺ ماالكوثر ؟ قال : « **ذاك نهر أعطانيه — يعنى فى الجنة — أشد بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل ، فيه طير أعناقها كأعناق الجزر** » فقال عمر : إن هذه لناعمة ، قال رسول الله ﷺ : « **أكلتُها أنعم منها** » ا . هـ[1] .

— وعن أبى الدرداء أن النبى ﷺ قال : « **إن فى الجنة طيراً مثل أعناق البخت تصطف على يد ولى الله فيقول أحدها : ياولى الله : رعيت فى مروج الجنة تحت العرش ، شربت من عيون التسنيم ، فكل منى ، فلا يزلن يفتخرن بين يديه حتى يخطر على قلبه أكل أحدها . فيخر بين يديه على ألوان مختلفة فيأكل منه ماأراد فإذا شبع تجمع عظام الطير فيطير يرعى فى الجنة حيث شاء ، فقال عمر : يانبى الله ، إنها لناعمة قال : أكلها أنعم منها** » ا. هـ[2] .

— وعن سليمان بن بريدة عن أبيه أن رجلاً سأل النبى ﷺ فقال يارسول الله : هل فى الجنة من خيل ؟ قال : **إن أدخلك الله الجنة فلاتشاء أن تحمل فيها**

---

(١) أخرجه الترمذى وقال : حديث حسن .

(٢) أخرجه الثعلبى .

على فرش من ياقوتة حمراء تطير بك حيث شئت إلا فعلت ، قال : وسأله رجل فقال : يارسول الله هل فى الجنة من إبل ؟ قال : فلم يقل له ما قال لصاحبه . فقال : **إن يدخلك الله الجنة يكن لك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك**» ا. هـ[1] .

ـــ وقال أبو زيد : كان الحسن البصرى يذكر عن رسول الله ﷺ أن أدنى أهل الجنة منزلة الذى يركب فى ألف ألف من خدمه من الولدان المخلدين على خيل من ياقوت أحمر لها أجنحة من ذهب ، اقرءوا إن شئتم ﴿ **وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً** ﴾[2] .

ـــ وحكى عبد الله بن المبارك : خرج إلى غزو فرأى رجلاً حزيناً قد مات فرسه فبقى محزوناً ، فقال له بعنى إياه بأربعمائة درهم ، ففعل الرجل ذلك ـــ أى باعه له ـــ فرأى من ليلته فى المنام كأن القيامة قد قامت وفرسه فى الجنة وخلفه سبعمائة فرس . فأراد أن يأخذه فنودى أن دعه فإنه لابن المبارك وقد كان لك بالأمس ، فلما أصبح جاء إليه وطلب الإقالة فقال له ولم ؟ قال : فقص عليه القصة فقال له : اذهب فما رأيته فى المنام رأيناه فى اليقظة) ا. هـ .

* فقال القرطبى معلقاً على تلك القصة : « وهذه الحكاية صحيحة لأنها فى معنى ما ثبت فى صحيح مسلم عن ابن مسعود » ا. هـ . يريد الإمام الإشارة إلى الحديث التالى :

ـــ عن ابن مسعود قال : جاء رجل بناقة مخطومة فقال : هذه فى سبيل الله فقال رسول الله ﷺ : « **لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة** » ا. هـ[3] .

* * * *

الشاة والمعزى من دواب الجنة :

* قال تعالى ﴿ **وفديناه بذبح عظيم** ﴾[4] قيل : وإنما سمى عظيماً لأنه رعى فى الجنة أربعين عاماً . والله تعالى أعلم .

---

(١) أخرجه الترمذى .
(٢) سورة الإنسان : الآية ٢٠ .
(٣) أخرجه مسلم .
(٤) سورة الصافات : الآية ١٠٧ .

— وعن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « **الشاة من دواب الجنة** » ا. هـ [١] .

— وعن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « **أحسنوا إلى المعزى وأميطوا عنها الأذى فإنها من دواب الجنة** »[٢] .

الحناء والريحان فى الجنة :

— فى الأثر : لما خلق الله الجنة حففها بالريحان ، وحفف الريحان بالحناء وما خلق الله شجرة أحب إليه من الحناء ، وإن المختضب بالحناء لتصلى عليه ملائكة السماء إذا غدا وتقدس الأرض .

— وعن أبى عثمان النهدى قال : قال رسول الله ﷺ : « **إذا أعطى أحدكم الريحان فلا يرده فإنه خرج من الجنة** »[٣] .

* * * *

أول من يدخل الجنة

حرمت الجنة على الأنبياء حتى يدخلها النبى محمد ﷺ وحرمت أيضاً على الأمم حتى تدخلها أمته ، فقد روى الدار قطنى من حديث زهير بن محمد عن عمر ابن الخطاب عن رسول الله ﷺ : « **أن حرمت على الأنبياء كلهم حتى أدخلها ، وحرمت على الأمم حتى تدخلها أمتى** » .

وفى صحيح مسلم من حديث أبى صالح عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ، ونحن أول من يدخل الجنة ، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم ، فاختلفوا فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه** » .

---

(١) أخرجه ابن ماجه .
(٢) أخرجه البزار .
(٣) أخرجه الترمذى فى كتاب « الشمائل » وقال : لايعرف فى الريحان غير هذا الحديث

وفى الصحيحين من حديث طاوس عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « **نحن الآخرون الأولون يوم القيامة نحن أول الناس دخولاً الجنة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم** » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **عرض على أول ثلاثة من أمتى يدخلون الجنة وأول ثلاثة يدخلون النار ، فأما أول ثلاثة يدخلون الجنة : فالشهيد ، وعبد مملوك لم يشغله رق الدنيا عن طاعة ربه ، وفقير متعفف ذو عيال ، وأول ثلاثة يدخلون النار : فأمير مسلط[1] وذو ثروة من مال لايؤدى حق الله من ماله ، وفقير فخور** » رواه الإمام أحمد .

وروى الإمام أحمد فى مسنده والطبرانى واللفظ له من حديث أبى عشابة المعافرى أنه سمع عبد الله بن عمر يقول : قال رسول الله ﷺ : « **هل تدرون أول من يدخل الجنة ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم قال : فقراء المهاجرين الذين تتقى بهم المكاره ، ويموت أحدهم وحاجته فى صدره لايستطيع لها قضاء ، تقول الملائكة : ربنا نحن ملائكتك وخزنتك وسكان سمواتك لاتدخلهم الجنة قبلنا ، فيقول : عبادى لايشركون بى شيئاً تتقى بهم المكاره ، ويموت أحدهم وحاجته فى صدره لم يستطع لها قضاء ، فعند ذلك تدخل عليهم الملائكة من كل باب ، سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار** » .

وفى صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء بأربعين خريفاً** » .

وعن أبى هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن فقراء المؤمنين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم ، وذلك خمسمائة عام** » . رواه الطبرانى .

* * * *

(١) أى : ظالم .

◘ من يدخل الجنة بغير حساب

ـــ عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « **يدخل الجنة من أمتي زمرة هم سبعون ألفاً تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر ، فقال عكاشة بن محصن الأسدى يرفع نمرة عليه ، فقال : يارسول الله ، ادع الله أن يجعلنى منهم ، فقال رسول الله ﷺ : اللهم اجعله منهم ، فقام رجل من الأنصار ، فقال : يارسول الله ، ادع الله أن يجعلنى منهم ، فقال : سبقك بها عكاشة** » ا. هـ[1] .

ـــ وعن سهل بن سعد قال : قال رسول الله ﷺ : « **ليدخلن الجنة من أمتى سبعون ألفاً بغير حساب أو سبعمائة ألف أخذ بعضهم ببعض حتى يدخل أولهم وآخرهم الجنة على صورة القمر ليلة البدر** » ا. هـ[2] .

*** قال العلاّمة ابن القيم معلقا :**

والدليل عليه ماثبت فى الصحيحين والسياق لمسلم ، حدثنا سعيد بن منصور حدثنا هشام أنبأنا خصيف بن عبد الرحمن قال : كنت عند سعيد بن جبير : قال « أيكم الذى رأى الكوكب الذى انقض البارحة ؟ قلت : أنا ، ثم قلت : أما إنى لم أكن فى صلاة ولكنى لدغت قال : فما صنعت ؟ قلت : استرقيت قال : فما حملك على ذلك ؟ قلت : حديث حدثناه الشعبى قال : وماحدثكم الشعبى ؟ قال حدثنا عن بريدة بن الخصيب الأسلمى أنه قال : لا رقية إلا من عين أو حمة ، فقال : قد أحسن من انتهى إلى ما سمع ، ولكن حدثنا ابن عباس عن النبى ﷺ قال : « **عرضت على الأمم فرأيت النبى ومعه الرهط ، والنبى معه الرجل والرجلان ، والنبى وليس معه أحد ، ورفع إلى سواد عظيم ، فظننت أنهم أمتى فقيل لى : هذا موسى وقومه ، ولكن انظر إلى الأفق ، فنظرت فإذا سواد عظيم ، فقيل لى : هذه أمتك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولاعذاب فقال بعضهم : لعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ ، وقال**

---

(١) أخرجاه فى الصحيحين .

(٢) أخرجاه فى الصحيحين .

بعضهم : فلعلهم الذين ولدوا فى الإسلام فلم يشركوا بالله شيئاً ، وذكروا أشياء ، فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال : ما الذى تخوضون فيه ؟ فأخبروه ، فقال : هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون ، فقام عكاشة بن محصن فقال : ادع الله أن يجعلنى منهم ، فقال : أنت منهم . ثم قام رجل آخر فقال : ادع الله أن يجعلنى منهم ، فقال : أنت منهم ثم قام رجل آخر فقال : ادع الله أن يجعلنى منهم ، فقال : سبقك بها عكاشة ا. هـ .

* * * *

▣ منازل أهل الجنة ودرجاتها

يتفاضل الناس فى الجنة كما يتفاضلون فى الدنيا كل بحسب إيمانه وعمله فى الدنيا ، وابتعاده عن المعاصى واجتنابه للنواهى ، فالجنة ليست واحدة بل جنان متعددة تتفاوت فى الحسن والنعيم والجزاء .

قال تعالى : ﴿ **انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً** ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ **يـأيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا يفسح الله لكم ، وإذا قيل انشزوا فانشزوا[2] يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير** ﴾[3] .

وقال تعالى : ﴿ **إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . أولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم** ﴾[4] .

---

(١) سورة الإسراء : الآية ٢١ .
(٢) انشزوا : أى انهضوا للتوسعة أو لعمل الخير كالجهاد والصلاة .
(٣) سورة المجادلة : الآية ١١ .
(٤) سورة الأنفال : الآيات ٢ - ٤ .

وقال الحق سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز : ﴿ **لايستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً . درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفوراً رحيماً** ﴾[1] .

وعن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « **إن فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيله بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ، فإذا سألتم اللهِ فاسألوه الفردوس ، فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ، ومنه تفجر أنهار الجنة** » . (رواه البخارى) .

وفى المسند من حديث أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن المتحابين لترى غرفهم فى الجنة كالكوكب الطالع الشرق أو الغربى فيقال : من هؤلاء ؟ فيقال : هؤلاء المتحابون فى الله عز وجل** » .

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **من صلى هؤلاء الصلوات الخمس وصام شهر رمضان كان حقاً على الله أن يغفر له هاجر أو قعد حيث ولدته أمه ، قلت : يارسول الله ألا أخرج فأوذن الناس ؟ قال : لا ، ذر الناس يعملون ، وإن فى الجنة مائة درجة بين كل درجتين منها مثل مابين السماء والأرض ، وأعلى درجة منها الفردوس ، وعليها يكون العرش ، وهى أوسط شىء فى الجنة ، ومنها تفجر أنهار الجنة ، وإذا سألتم الله فسلوه الفردوس** » . رواه الترمذى .

وفى الصحيحين من حديث مالك عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال : « **إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدرى الغابر[2] من الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل مابينهم ، قالوا : يارسول الله تلك منازل الأنبياء لايبلغها غيرهم ؟ قال : بلى ، والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا**

---

(١) سورة النساء : الآيتان ٩٥ - ٩٦ .

(٢) الغابر : الذاهب الماضى .

المرسلين » ...

وفى المسند من حديث أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ قال : « **يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة : اقرأ واصعد . فيقرأ ويصعد بكل آية درجة حتى يقرأ آخر شيء معه »** .

وفى المسند أيضاً من حديث عمارة بن غزية عن موسى بن وردان عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ « **الوسيلة[1] درجة عند الله عز وجل ليس فوقها درجة فسلوا الله لى الوسيلة »** .

وفى صحيح مسلم من حديث عمرو بن العاص أنه سمع النبى ﷺ يقول : « **إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول : ثم صلوا على ، فإنه من صلى على صلاة واحدة صلى الله عليه عشراً ، ثم سلوا لى الوسيلة فإنها منزلة فى الجنة لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لى الوسيلة حلت عليه شفاعتى »** .

وحدثنا أبو إسحاق عن حميد قال : سمعت أنساً يقول : أصيب حارثة يوم بدر وهو [illegible] فجاءت أمه إلى النبى ﷺ فقالت : يارسول الله قد عرفت منزلة حارثة منى ، [illegible] فى الجنة أصبر وأحتسب ، وإن يكن الأخرى ترى ما أصنع فقال : « **ويحك أو هبلت ، أوجنة واحدة هى ؟ إنها جنان كثيرة وإنه لفى الفردوس** » رواه البخارى .

وعن فضالة بن عبيد رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **أنا زعيم والزعيم الحميل[2] لمن آمن بى وأسلم وهاجر ببيت فى ربض الجنة[3] وببيت فى وسط الجنة . وأنا زعيم لمن آمن بى وأسلم وجاهد فى سبيل الله ببيت فى ربض الجنة وببيت فى وسط الجنة وببيت فى أعلى غرف الجنة ، من فعل ذلك فلم يدع للخير مطلباً ولا من الشر مهرباً يموت حيث شاء أن يموت** » رواه النسائى وابن حبان فى صحيحه .

---

(١) الوسيلة : أقرب الدرجات إلى عرش الرحمن . وأصل اشتقاق لفظ الوسيلة من القرب . وهى فعيلة من وسل إليه إذا تقرب إليه .

(٢) الحميل : الكفيل والضامن .

(٣) ربض الجنة : ماحولها تشبيهاً بالأبنية التى تكون حول المدن .

أدنى أهل الجنة منزلة :

عن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « **سألَ موسى ﷺ ربه : ماأدنى أهل الجنة منزلة ؟ قال : هو رجل يجىء بعدما أدخل أهل الجنة الجنة فيقال له : ادخل الجنة ، فيقول : أى رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم ؟ فيقال له : أترضى أن يكون لك مثل مُلْكِ مَلِكٍ من ملوك الدنيا ؟ فيقول : رضيت رب . فيقول : لك ذلك ومثله ومثله ومثله ، فيقول فى الخامسة : رضيت رب ، فيقول : هذا لك وعشرة أمثاله ، ولك ما اشتهت نفسك ، ولذت عينك فيقول : رضيت رب ، قال : رب فأعلاهم منزلة : أولئك الذين أردت ، غرس كرامتهم بيدى وختمت عليها ، فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر** » رواه مسلم .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **إن أدنى مقعد أحدكم من الجنة أن يقول له تمن فيتمنى ، ويتمنى . فيقول له : هل تمنيت ؟ فيقول : نعم فيقول له : فإن لك ماتمنيت ومثله معه** » رواه مسلم .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إنى لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها وآخر أهل الجنة دخولاً الجنة : رجل يخرج من النار حبوا[1] فيقول الله عز وجل له : اذهب فادخل الجنة ، فيأتيها فيخيل إليه أنها ملآى ، فيرجع فيقول : يارب وجدتها ملآى ؟ فيقول الله عز وجل : اذهب فادخل الجنة ، فيأتيها فيخيل إليه أنها ملآى ، فيرجع فيقول : يارب وجدتها ملآى ، فيقول الله عز وجل : اذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها ، أو إن لك عشرة أمثال الدنيا فيقول : أتسخر بى أو تضحك بى وأنت الملك ؟ ، قال : فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه فكان يقول : ذلك أدنى أهل الجنة منزلة** » . متفق عليه .

* * * *

(١) حبوا : أى يمشى على ركبتيه .

● مســـائل ●

المسألة الأولى :

هل ينام أهل الجنة ؟

ـــ ذكر ابن القيم عن ابن مردويه فقال : روى ابن مردويه من حديث سفيان الثورى عن محمد بن المنكدر عن جابر رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ : « **النوم أخو الموت .. وأهل الجنة لا ينامون** » .

* وذكر الطبرانى من حديث يحي بن سعيد الأنصارى عن محمد بن المنكدر عن جابر قال : « **سئل نبى الله ﷺ أينام أهل الجنة ؟ فقال النبى ﷺ : النوم أخو الموت وأهل الجنة لا ينامون** » .

المسألة الثانية :

هل يرتقى العبد فى الجنة من درجة إلى درجة ؟

قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد أنبأنا حماد بن سلمة عن عاصم بن أبى النجود عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح فى الجنة فيقول : يارب أنى لى هذه ؟ فيقول باستغفار ولدك لك** » ؟

* * * *

المسألة الثالثة :

هل تتكلم الجنة ؟

ـــ فى الحديث (احتجت الجنة والنار) وفيه (قالت الجنة يارب قد اطردت أنهارى ، وطابت ثمارى فعجل على بأهلى) .

وقال إسماعيل بن سعيد الطائى : أخبرت أن الله تعالى لما خلق الجنة قال لها :

« تزيني فتزينت ثم قال لها : تكلمي فتكلمت فقالت : طوبى لمن رضيت عنه » وقال قتادة « لما خلق الله الجنة قال لها : تكلمي فقالت : طوبى للمتقين » .

— وروى الطبراني عن عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **لما خلق الله جنة عدن خلق فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، ثم قال لها : تكلمي فقالت : قد أفلح المؤمنون** » .

*** * * ***

المسألة الرابعة :

هل تزداد الجنة حسناً على الدوام ؟

— روى عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل بن كعب قال : « ما نظر الله إلى الجنة إلا قال : طيبى لأهلك فتزداد ضعفاً حتى يدخلها أهلها » .

*** * * ***

المسألة الخامسة :

هل يأتى أهل الجنة سوقاً بها ؟

— عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : « **إن فى الجنة لسوقاً يأتونها ، فتهب ريح الشمال فتحثو فى وجوههم وثيابهم ، فيزدادون حسناً وجمالاً ، فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً ، فيقول لهم أهلوهم : والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً ، فيقولون : والله وأنتم لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً** » ا. هـ[1] .

— وفى الخبر : أن أبا هريرة رضى الله عنه لقيه سعيد بن المسيب فقال أبو هريرة : « أسأل الله أن يجمع بينى وبينك فى سوق الجنة ، فقال سعيد : أوفيها سوق ؟ قال : نعم ، أخبرنى رسول الله ﷺ :

أن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوها بفضل أعمالهم ، فيؤذن لهم فى مقدار يوم

(١) أخرجه مسلم : وكذلك الإمام أحمد عن حماد بن سلمة .

الجمعة من أيام الدنيا ، فيزورون الله تبارك وتعالى ، فيبرز لهم عرشه ويتبدى لهم فى روضة من رياض الجنة ، فيوضع لهم منابر من نور ، ومنابر من لؤلؤ ، ومنابر من زبرجد ، ومنابر من ياقوت ، ومنابر من ذهب ، ومنابر من فضة ، ويجلس أدناهم ــ ومافيها دنى ــ على كثبان المسك والكافور ؟ ومايرون أصحاب الكراسى بأفضل منهم مجلساً .

قال أبو هريرة : وهل نرى ربنا عز وجل ؟ قال : نعم ، قال : هل تمارون فى رؤية الشمس والقمر ليلة البدر ؟ قلنا : لا ، قال : فكذلك لاتمارون فى رؤية ربكم ، ولا يبقى من ذلك المجلس أحد إلا حاضره الله محاضرة حتى يقول يافلان ابن فلان ، أتذكر يوم فعلت كذا وكذا ، فيذكره ببعض غدراته فى الدنيا ، فيقول : بلى ، أفلم تغفر لى ، فيقول : بلى ، فبمغفرتى بلغت منزلتك هذه ، فبينا هم على ذلك إذا غشيتهم سحابة من فوقهم ، فأمطرت عليهم طيباً لم يجدوا مثل ريحه شيئاً قط قال : ثم يقول ربنا تبارك وتعالى : قوموا إلى ماأعددت لكم من الكرامة فخذوا مااشتهيتم ، قال : فيأتون سوقاً قد حفت بها الملائكة فيها مالم تنظر العيون إلى مثله ، ولم تسمع الآذان ولم يخطر على القلوب ، قال : فيحمل لنا مااشتهينا ليس يباع فيه ولا يشترى وفى ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضاً قال : فيقبل ذو البذة المرتفعة فيلقى من هو دونه ومافيهم دنى ، فيروعه مايرى عليه من اللباس والهيئة ، فما ينقضى آخر حديثه حتى يتمثل عليه أحسن منه وذلك أنه لاينبغى لأحد أن يحزن فيها ، قال : ثم ننصرف إلى منازلنا فيلقانا أزواجنا فيقلن : مرحباً وأهلاً بحبنا ، إنا جالسنا ربنا الجبار عز وجل ، وبحقنا أن ننقلب بمثل ماانقلبنا » ا. هـ .

* قال العلامة ابن القيم تعليقاً على هذا الحديث .

* رواه الترمذى فى صفة الجنة عن محمد بن إسماعيل عن هشام بن عمار ، ورواه ابن ماجه عن هشام بن عمار ، وليس فى هذا الإسناد من ينظر فيه إلا عبد الحميد بن حميد وهو كاتب الأوزاعى ، فلا ننكر عليه تفرده عن الأوزاعى بما لم يروه غيره .

وقد قال الإمام أحمد وأبو حاتم الرازى : هو ثقة ، وأما رحيم والنسائى فضعفاه

ولا نعرف أنه حدث من غير الأوزاعى والترمذى . قال : فى هذا الحديث غريب . لانعرفه إلا من هذا الوجه .

قلت : وقد رواه ابن أبى الدنيا عن الحكم بن موسى حدثنا هقل بن زياد عن الأوزاعى قال : نبئت أن سعيد بن المسيب لقى أبا هريرة فذكره ، وقال الترمذى : حدثنا أحمد بن منيع حدثنا أبو معاوية أنبأنا عبد الرحمن بن إسحاق عن النعمان بن سعد عن على بن أبى طالب قال : قال رسول الله ﷺ :

« **إن فى الجنة لسوقاً ما فيها شراء ولابيع إلا الصور من الرجال والنساء فإذا اشتهى الرجل الصورة دخل فيها** » قال : هذا حديث غريب .

وخلاصة سوق الجنة أنه مما أعده الله للمؤمنين كطريق من طريق النعيم والالتذاذ فلا حرج على فضل الله ، وهو المعطى الوهاب .. والله تعالى أعلم .

أبدية نعيم الجنة

مهما طال نعيم الدنيا فهو زائل لا محالة ، إما بالموت أو بغيره ، لذا كان نعيم الدنيا ناقصاً لاحتمال زواله .

أما نعيم الآخرة فهو أبدى خالد لايكتنف صاحبه سقم ولاألم ولاملل ولانقصان .

قال تعالى : ﴿ **والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون** ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ **إن المتقين فى مقام أمين . فى جنات وعيون يلبسون من سندس وإستبرق متقابلين . كذلك وزوجناهم بحور عين . يدعون فيها بكل فاكهة آمنين . لايذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ووقاهم عذاب الجحيم** ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ **وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة فى جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم** ﴾[3] .

وعن أبى سعيد وأبى هريرة رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « إذا

(١) سورة البقرة : الآية ٨٢ .

(٢) سورة الدخان : الآيات ٥١ – ٥٦ .

(٣) سورة التوبة : الآية ٧٢ .

دخل أهل الجنة الجنة ينادى مناد . إن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً ، وإن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً ، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً ، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً » رواه مسلم .

وعن ابن عمر أن النبى ﷺ قال : « **يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم يؤذن مؤذن بينهم فيقول : يا أهل الجنة لاموت ويا أهل النار لاموت كل خالد فيما هو فيه** » متفق عليه .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **يؤتى بالموت يوم القيامة ، فيوقف على الصراط فيقال : يا أهل الجنة فيطلعون خائفين وجلين أن يخرجوا من مكانهم الذى هم فيه ، ثم يقال يا أهل النار ، فيطلعون مستبشرين فرحين ، أن يخرجوا من مكانهم الذى هم فيه ، فيقال : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم هذا الموت ، فيؤمر به فيذبح على الصراط ، ثم يقال للفريقين كليهما : خلود فيما تجدون ، لا موت فيها أبداً** » رواه أحمد وابن ماجه والحاكم فى المستدرك .

وعن أبى سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « **يؤتى بالموت كأنه كبش أملح[1] حتى يوقف على السور بين الجنة والنار ، فيقال : يا أهل الجنة فيشرئبون[2] ، فيقال : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم ، هذا الموت فيضجع ويذبح ، فلولا أن الله قضى لأهل الجنة الحياة والبقاء لماتوا فرحاً ولولا أن الله قضى لأهل النار الحياة فيها لماتوا ترحا** » رواه الترمذى .

◘ الجنة لا تفنى ولا تبيد

قال ابن القيم فى قوله تعالى : ﴿ **وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها مادامت السماوات والأرض إلا ماشاء ربك عطاء غير مجذوذ** ﴾[3] وهذا يحتمل أمرين :

أحدهما : أن يكون الإخبار عن الذين سعدوا وقع عن قوم مخصوصين وهم هؤلاء .

والثانى : وهو الأظهر : أن يكون وقع عن جملة السعداء والتخصيص

(١) الأملح : النقى البياض أو الذى بياضه أكثر من سواده .
(٢) أى يرفعون رءوسهم .
(٣) سورة هود : الآية ١٠٨ .

بالمذكورين هو فى الاستثناء ومادل عليه . وأحسن من هذين التقديرين أن ترد المشيئة إلى الجميع حيث لم يكونوا فى الجنة فى هذا الموقف .

وعلى هذا فلا يبقى فى الآية تخصيص .

* وقالت فرقة أخرى : استثناه الرب تعالى ولا يفعله كما تقول : والله لأضربنك إلا أن أرى غير ذلك وأنت لاتراه ، بل تجزم بضربه .

* وقالت فرقة أخرى : العرب إذا استثنت شيئاً كثيراً مع مثله ومع ماهو أكثر منه ، كان معنى إلا فى ذلك معنى الواو سواء ، والمعنى على هذا سوى ما شاء الله من الزيادة مدة دوام السماوات والأرض ، وهذا قول الفراء وسيبويه : يجعل إلا بمعنى سوى .

قالوا : ونظير ذلك أن تقول : لى عليك ألف إلا الألفين اللذين قبلها أى سوى الألفين . قال ابن جرير : وهذا هو أحب الوجهين إلى ، لأن الله تعالى لا خلف لوعده وقد وصل الاستثناء بقوله ﴿ **عطاء غير مجذوذ** ﴾ .

قالوا : ونظير ذلك أن تقول : أسكنتك دارى حولاً إلا ماشئت أى سوى ماشئت من الزيادة عليه .

* وقالت فرقة أخرى : هذا الاستثناء إنما هو مدة احتباسهم عن الجنة مابين الموت والبعث وهو البرزخ إلى أن يصيروا إلى الجنة ثم هو خلود الأبد فلم يغيبوا عن الجنة إلا بمقدار إقامتهم فى البرزخ . وقالت فرقة أخرى : العزيمة قد وقعت لهم من الله بالخلود الدائم إلا أن يشاء الله خلاف ذلك إعلاماً لهم بأنهم مع خلودهم فى مشيئته وهذا كما قال لنبيه ﴿ **ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا إليك** ﴾[1] وقوله ﴿ **فإن يشأ الله يختم على قلبك** ﴾[2] وقوله ﴿ **قل لو شاء الله ماتلوته عليكم** ﴾[3] ، ونظائره . وأخبر عباده سبحانه أن الأمور كلها بمشيئته ما شاء كان ومالم يشأ لم يكن .

* وقالت فرقة أخرى : المراد مدة دوام السماوات والأرض فى هذا العالم فأخبر سبحانه أنهم خالدون فى الجنة مدة دوام السماوات والأرض إلا ما شاء الله أن يزيدهم عليه ، ولعل هذا قول من قال : إن إلا بمعنى سوى ، ولكن اختلف

---

(١) سورة الإسراء : الآية ٨٦ .

(٢) سورة الشورى : الآية ٢٤ .

(٣) سورة يونس : الآية ١٦ .

عبارته وهذا اختيار ابن قتيبة قال : المعنى خالدين فيها مدة العالم سوى ما شاء أن يزيدهم من الخلود على مدة العالم ، وقالت فرقة أخرى : ما بمعنى مَنْ فى قوله ﴿ **فانكحوا ما طاب لكم من النساء** ﴾[1] والمعنى إلا مَن شاء ربك أن يدخله النار بذنوبه من السعداء والفرق بين هذا القول وبين أول الأقوال أن الاستثناء على ذلك القول من المدة وعلى هذا القول من الأعيان . وقالت فرقة أخرى : المراد بالسماوات والأرض سماء الجنة وأرضها ، وهما باقيتان أبداً ، وقوله ﴿ **إلا ما شاء ربك** ﴾ إن كانت ما بمعنى من فهم الذين يدخلون النار يخرجون منها ، وإن كانت بمعنى الوقت فهو مدة احتسابهم من البرزخ والموقف ، قال الجعفى : سألت عبد الله بن وهب عن الاستثناء فقال : سمعت فيه أنه قدر وقوفهم فى الموقف يوم القيامة إلى أن يقضى بين الناس .

* وقالت فرقة أخرى : الاستثناء راجع إلى مدة لبثهم فى الدنيا ، وهذه الأقوال متقاربة ، ويمكن الجمع بينها بأن يقال : أخبر سبحانه عن خلودهم فى الجنة كل وقت إلا وقتاً يشاء أن لايكونوا فيها وذلك يتناول وقت كونهم فى الدنيا ، وفى البرزخ ، وفى موقف يوم القيامة وعلى الصراط ، وكون بعضهم فى النار مدة وعلى كل تقدير فهذه الآية من المتشابه وقوله فيها ﴿ **عطاء غير مجذوذ** ﴾ محكم ، وكذلك قوله ، ﴿ **إن هذا لرزقنا ماله من نفاد** ﴾[2] وقوله ﴿ **أكلها دائم وظلها** ﴾ وقوله ﴿ **وماهم منها بمخرجين** ﴾[3] .

قال ابن القيم :

* وقد أكد الله سبحانه خلود أهل الجنة بالتأييد فى عدة مواضع من القرآن ، وأخبر أنهم لايذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى . وهذا الاستثناء منقطع وإذا ضممته إلى الاستثناء فى قوله (إلا ما شاء ربك) تبين لك المراد من الآيتين واستثناء الوقت الذى لم يكونوا فى الجنة من مدة الخلود كاستثناء الموتة الأولى من جملة الموت فهذه موتة تقدمت على حياتهم الأبدية ، وذلك مفارقة للجنة تقدم على خلودهم فيها .. وبالله التوفيق .

---

(١) سورة النساء : الآية ٣ .

(٢) سورة ص : الآية ٥٤ .

(٣) سورة الحجر : الآية ٤٨ .

القول بفناء الجنة

قال العلماء : إن القول بفناء الجنة والنار قول مبتدع لم يقله أحد من الصحابة ولا التابعين ولا أحد من أئمة المسليمن ، والذين قالوا إنما تلقوه عن قياس فاسد كما اشتبه أصله على كثير من الناس فاعتقدوه حقاً وبنوا عليه القول بخلق القرآن ونفى الصفات ، وقد دل القرآن والسنة والعقل الصريح على أن كلمات الله وأفعاله لا تتناهى ولا تنقطع بآخر ولا تحد بأول ..

قال تعالى : ﴿ **قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مدداً** ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ **ولو أنما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر مانفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم** ﴾[2] . فأخبر عن عدم نفاذ كلماته لعزته وحكمته وهذان وصفان ذاتيان له سبحانه وتعالى لا يكون إلا كذلك . وذكر أبو حاتم فى تفسيره عن سليمان بن عامر قال : سمعت الربيع بن أنس يقول : إن مثل علم العباد كلهم فى علم الله عز وجل كقطرة من هذه البحور كلها ، وقد أنزل الله سبحانه وتعالى فى ذلك ﴿ **ولو أنما فى الأرض من شجرة أقلام ..** ﴾ الآية ..

أبدية النار :

* قال ابن تيمية فى أبدية النار : فيها قولان عن السلف والخلف والنزاع فى ذلك معروف عن التابعين ، وقلت : ها هنا أقوال سبعة :

أحدها : أن من دخلها لايخرج منها أبداً بل من دخلها خالد فيها أبد الآباد بإذن الله وهذا قول الخوارج والمعتزلة .

والثانى : أن أهلها يعذبون فيها مدة ثم تنقلب عليهم وتبقى طبيعة نارية لهم يتلذذون بها لموافقتها طبيعتهم ، وهذا قول إمام الاتحادية ابن عربى الطائى .

والثالث : قول من يقول إن أهلها يعذبون إلى وقت محدود ثم يخرجون منها ويخلفهم فيها قوم آخرون ، وهذا القول حكاه اليهود للنبى ﷺ فأكذبهم الله تعالى فى القرآن فيه .

---

(١) سورة الكهف : الآية ١٠٩ .

(٢) سورة لقمان : الآية ٢٧ .

قال تعالى : ﴿ **وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة قل أتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده ، أمْ تقولون على الله مالاتعلمون ، بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** ﴾[1] .

الرابع : قول من يقول : يخرجون منها وتبقى ناراً على حالها ليس فيها أحد يعذب والقرآن والسنة أيضاً يردان هذا القول .

الخامس : قول من يقول : بل تفنى بنفسها لأنها حادثة بعد أن لم تكن : وماثبت حدوثه استحال بقاؤه وأبديته ، وهذا قول جهم بن صفوان وشيعته ولافرق عنده فى ذلك بين الجنة والنار .

السادس : قول من يقول تفنى حياتهم وحركاتهم ويصيرون جماداً لايتحركون ولايحسون بألم ، وهذا قول أبى الهذيل العلاف إمام المعتزلة طرداً لامتناع حوادث لانهاية لها .. والجنة والنار عنده سواء فى هذا الحكم .

السابع : قول من يقول : بل يفنيها ربها وخالقها تبارك وتعالى ؟ فإنه جعل لها أمداً تنتهى إليه تفنى ويزول عذابها .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

* وقد نقل هذا القول عن عمر وابن مسعود وأبى هريرة وأبى مسعود وغيرهم .. وقد روى عبد بن حميد وهو من أجل ائمة الحديث فى تفسيره المشهور .. حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن الحسن قال : قال عمر : « لو لبث أهل النار فى النار كقدر رمل عالج لكان لهم على ذلك يوم يخرجون فيه » ا. هـ .

قال ابن مردويه فى تفسيره :

ـــ عن جابر قال : قرأ رسول الله ﷺ ﴿ **فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق . خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلا ماشاء ربك** ﴾[2] . قال رسول الله ﷺ : « إن شاء الله أن يخرج أناساً من الذين شقوا من النار فيدخلهم الجنة فعل » ا. هـ .

وهذا الحديث يدل على أن الاستثناء إنما هو للخروج من النار بعد دخولها خلافاً

(١) سورة البقرة : الآيتان ٨٠ – ٨١ .

(٢) سورة هود : الآيتان ١٠٦ – ١٠٧ .

لمن زعم أنه لما قبل الدخول ، ولكن إنما يدل على إخراج بعضهم من النار ، وهذا حق بلا ريب وهو لا ينفى انقطاعها وفناء عذابها وأكلها لمن فيها وأنهم يعذبون فيها دائماً مادامت كذلك وماهم منها بمخرجين ، فالحديث دل على أمرين :

أحدهما : أن بعض الأشقياء إن شاء الله أن يخرجهم من النار وهى نار فعل ، وأن الاستثناء إنما هو فيما بعد لافيما قبله وعلى هذا فيكون معنى الاستثناء إلا ما شاء ربك من الأشقياء نوعين نوعاً يخرجون منها ونوعاً يخلدون فيها فيكونون من الذين شقوا أولاً ثم يصيرون من الذين سعدوا فتجتمع لهم الشقاوة والسعادة فى وقتين قالوا : وقد قال تعالى :

﴿ إن جهنم كانت مرصاداً ، للطاغين مآبا ، لابثين فيها أحقاباً ، لايذوقون فيها برداً ولاشراباً ، إلا حميماً وغَسَّاقاً ، جزاء وِفاقاً ، إنهم كانوا لايرجون حِساباً ، وكذبوا بآياتنا كذاباً ﴾[1] .

فهذا صريح فى وعيد الكفار المكذبين بآياته ، ولا يقدر الأبد بهذه الأحقاب ولاغيرها كما لايقدر به القديم .

ولهذا قال عبد الله بن عمرو فيما رواه شعبة عن أبى بلخ عمرو بن ميمون يحدث عنه : « ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها ليس فيها أحد وذلك بعدما يلبثون فيها أحقاباً » ا. هـ .

الفصل فى المسألة :

قال ابن القيم :

* والذى أخبر به أهل السنة فى عقائدهم هو الذى دل عليه الكتاب والسنة وأجمع عليه السلف : **أن الجنة والنار مخلوقتان وأن أهل النار لايخرجون منها ولايخفف عنهم من عذابها ولايفتر عنهم ، وأنهم خالدون فيها ، ومن ذكر منهم أن النار لاتفنى فإنما قاله لظنه أن بعض أهل البدع قال بفنائها ، ولم يبلغه تلك الآثار ، وأما حكم العقل بتخليد أهل النار فيها ، فإخبار عن العقل بما ليس عنده ، فإن المسألة من المسائل التى لاتعلم إلا بخبر الصادق .**

* **وأما أصل الثواب والعقاب** : فهل يعلم بالعقل مع السمع أولا يعلم إلا بالسمع وحده ؟ ففيه قولان لنظار المسلمين من أتباع الأئمة الأربعة وغيرهم ،

(١) سورة النبأ : الآيات ٢١ - ٢٨ .

والصحيح أن العقل دل على المعاد والثواب والعقاب إجمالاً ،وأما تفصيلاً فلا يعلم إلا بالسمع ودوام الثواب والعقاب مالا يدل عليه العقل بمجرده ، وإنما هو علم بالسمع قد دل السمع دلالة قاطعة على دوام ثواب المطيعين ، وأما عقاب العصاة فقد دل السمع أيضاً دلالة قاطعة على انقطاعه فى حق الموحدين ، وأما دوامه وانقطاعه فى حق الكفار فهذا معترك النزال فمن كان السمع من جانبه فهو أسعد بالصواب ..

من الفروق بين دوام الجنة والنار :

١ ــ أن الله سبحانه وتعالى أخبر ببقاء نعيم أهل الجنة ودوامه وأنه لا نفاد له ولا انقطاع وأنه غير مجذوذ .

وأما النار فلم يخبر عنها بأكثر من خلود أهلها فيها وعدم خروجهم منها وأنهم لا يموتون فيها ولا يحيون وأنها مؤصدة عليهم وأنهم كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها ، وأن عذابها لازم لهم وأنه مقيم عليهم لا يفتر عنهم ، والفرق بين الخبرين ظاهر .

٢ ــ أن النار قد أخبر سبحانه وتعالى فى ثلاث آيات عنها بما يدل على عدم أبديتها .

الأولى : قوله سبحانه ﴿ **قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم** ﴾[1] .

الثانية : قوله سبحانه وتعالى ﴿ **خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلا ماشاء ربك إن ربك فعال لما يريد** ﴾[2] .

الثالثة : قوله جل شأنه وتعالى ﴿ **لابثين فيها أحقاباً** ﴾[3] .

ولولا الأدلة القطعية على أبدية الجنة ودوامها لكان حكم الاستثناءين فى الموضعين واحداً كيف وفى الآيتين من السياق مايفرق بين الاستثناءين فإنه قال فى أهل النار : ﴿ **إن ربك فعال لما يريد** ﴾[4] ، فعلمنا أنه سبحانه وتعالى يريد أن يفعل فعلاً لم يخبرنا به ، وقال فى أهل الجنة ﴿ **عطاء غير مجذوذ** ﴾[5] ، فعلمنا أن

---

(١) سورة الأنعام : الآية ١٢٨ .
(٢) سورة هود : الآية ١٠٧ .
(٣) سورة النبأ : الآية ٢٣ .
(٤) سورة هود : الآية ١٠٧ .
(٥) سورة هود : الآية ١٠٨ .

هذا العطاء والنعيم غير مقطوع عنهم أبداً ، فالعذاب مؤقت والنعيم ليس مؤقت ولا معلق .

٣ ـــ أنه قد سبق أن الجنة لن يدخلها من لم يعلم خيراً قط من المعذبين الذين يخرجهم الله من النار ، وأما النار فلن يدخلها من لم يعمل سوءًا قط ولا يعذب إلا من عصاه .

٤ ـ أنه قد ثبت أن الله سبحانه وتعالى ينشيء للجنة خلقاً آخر يوم القيامة يسكنهم إياها ولا يفعل ذلك بالنار ، وأما الحديث الذى ورد فى صحيح البخارى من قوله (وأما النار فينشيء الله لها خلقاً آخرين) فغلط وقع من بعض الرواة انقلب عليه الحديث ، وإنما هو ما ساقه البخارى فى الباب بنفسه (وأما الجنة فينشيء عليها خلقاً آخرين) ذكره البخارى رحمه الله مبيناً أن الحديث انقلب لفظه على من رواه بخلاف هذا وهذا ، والمقصود أنه لاتقاس النار بالجنة فى التأبيد مع هذه الفروق .

٥ ـــ أن الجنة من موجب رحمته ورضاه .

والنار من غضبه وسخطه ، ورحمته سبحانه تغلب غضبه وتسبقه ، كما جاء فى الصحيح من حديث أبى هريرة عنه ﷺ أنه قال : « لما قضى الله الخلق كتب فى كتاب فهو عنده موضوع على العرش أن رحمتى تغلب غضبى » ا. هـ . وإذا كان رضاه قد سبق غضبه وهو يغلبه كانت التسوية بين ماهو من موجب رضاه وماهو من موجب غضبه ممتنعة .

٦ ـــ أن ماكان بالرحمة وللرحمة فهو مقصود لذاته قصد الغايات ، وما كان من موجب الغضب والسخط فهو مقصود لغيره قصد الوسائل فهو مسبوق مغلوب مراد لغيره وماكان للرحمة فغالب سابق مراد لنفسه .

٧ ـــ أنه سبحانه قد أخبر أن رحمته وسعت كل شيء ، وليس شيء من الأشياء إلا وفيه رحمته ولا ينافى هذا أن يرحم العبد بما يشق عليه ويؤلمه وتشتد كراهته له فإن ذلك من رحمته أيضاً كما تقدم .

وقد جاء فى بعض الآثار : أن العبد إذا دعا لمُبتَلًى قد اشتد بلاؤه وقال : اللهم ارْحَمه ، يقول الرب تبارك وتعالى : كيف أرحمه من شيء به أرحمه ؟ فالابتلاء مِنَّة لعباده « وفى أثر إلهى » يقول الله تعالى : « **أهل ذكرى أهل مجالستى ، وأهل**

طاعتى أهل كرامتى ، وأهل شكرى أهل زيادتى .. وأهل معصيتى لا أقنطهم من رحمتى إن تابوا فأنا حبيبهم وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من المعايب » ا. هـ .

* فالبلاء والعقوبة أدوية قدرت لإزالة أدواء لا تزول إلا بها والنار هى الدواء الأكبر فمن تداوى فى الدنيا أغناه ذلك عن الدواء فى الآخرة ، وإلا فلابد له من الدواء بحسب دائه ومن عرف الرب تبارك وتعالى بصفات جلاله ونعوت كماله من حكمته ورحمته وبره وإحسانه وغناه وجوده وتحببه إلى عباده وإرادة الإنعام عليهم وسبق رحمته لهم لم يبادر إلى إنكار ذلك إن لم يبادر إلى قبوله .

٨ ــ أن أفعاله سبحانه وتعالى لاتخرج عن الحكمة والرحمة والمصلحة والعدل ، فلا يفعل عبثاً ولا جورا ولا باطلاً بل هو المنزه عن ذلك كما ينزه عن سائر العيوب والنقائص ، وإذا ثبت ذلك فتعذيبهم إن كان رحمة بهم حتى يزول ذلك الخبث وتكمل الطهارة فظاهر ، وإن كان لحكمة فإذا حصلت تلك الحكمة المطلوبة زال العذاب وليس فى الحكمة دوام العذاب أبد الآباد بحيث يكون دائماً بدوام الرب تبارك وتعالى ، وإن كان لمصلحة فإن كان يرجع إليهم ، فليست مصلحتهم فى بقائهم فى العذاب كذلك ، وإن كان لمصلحة فإن كان يرجع إليهم ، فليست مصلحتهم فى بقائهم فى العذاب كذلك ، وإن كانت المصلحة تعود إلى أوليائه فإن ذلك أكمل فى نعيمهم فهذا لا يقتضى تأبيد العذاب وليس نعيم أوليائه وكماله موقوفاً على بقاء آبائهم وأبنائهم وأزواجهم فى العذاب السرمد .

فإن قلتم : إن ذلك هو موجب الرحمة والحكمة والمصلحة قلتم مالا يعقل ، وإن قلتم : إن ذلك عائد إلى محض المشيئة ولاتطلب له حكمة ولاغاية فجوابه من وجهين .

أحدهما : أن ذلك محال على أحكم الحاكمين وأعلم العالمين أن تكون أفعاله معطلة عن الحكم والمصالح والغايات المحمودة والقرآن والسنة وأدلة العقول والفطر والآيات المشهودة شاهدة ببطلان ذلك .

والثانى : أنه لو كان الأمر كذلك لكان إبقاؤهم فى العذاب وانقطاعه عنهم بالنسبة إلى مشيئته سواء ولم يكن فى انقضائه ماينافى كماله وهو سبحانه لم يخبر بأبدية العذاب وأنه لا نهاية له .

* وغاية الأمر على هذا التقدير : أن يكون من الجائزات الممكنات الموقوف حكمها على خبر الصادق .

فإن سلكت طريق التعليل بالحكمة والرحمة والمصلحة لم يقتض الدوام ، وإن سلكت طريق المشيئة المحضة التى لاتعلل لم تقتضه أيضاً ، وإن وقف الأمر على مجرد السمع فليس فيه مايقتضيه .

٩ ـــ أن جانب الرحمة أغلب فى هذه الدار الباطلة الفانية الزائلة عن قرب من جانب العقوبة والغضب ولولا ذلك لما عمرت ولاقام لها وجود كما قال تعالى ﴿**ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ماترك عليها من دابة**﴾[١] وقال : ﴿**ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ماترك على ظهرها من دابة**﴾[٢] فلولا سعة رحمته ومغفرته وعفوه لما قام العالم ، ومع هذا فالذى أظهره من الرحمة فى هذه الدار ، وأنزله بين الخلائق جزءاً من مائة جزء من الرحمة ، فإن كان جانب الرحمة قد غلب فى هذه الدار ونالت البر والفاجر والمؤمن والكافر مع قيام مقتضى العقوبة به ومباشرته له وتمكنه من إغضاب ربه والسعى فى ساخطته ، فكيف لايغلب جانب الرحمة فى دار تكون الرحمة فيها مضاعفة ، على ما فى هذه الدار تسعا وتسعين ضعفاً وقد أخذ العذاب من الكفار مأخذه وانكسرت تلك النفوس وأنهكها العذاب ، وأذاب منها خبثاً وشراً لم يكن يحول بينها وبين رحمته لها فى الدنيا ، بل كان يرحمها مع قيام مقتضى العقوبة والغضب بها ، فكيف إذا زال مقتضى الغضب والعقوبة ، وقوى جانب الرحمة أضعاف أضعاف الرحمة فى هذه الدار ، واضمحل الشر والخبث الذى فيها فأذابته النار وأكلته ؟!

وسر الأمر أن أسماء الرحمة والإحسان أغلب وأظهر ، وأكثر من أسماء الانتقام ، وفعل الرحمة أكثر من فعل الانتقام وظهور آثار الرحمة أكثر من ظهور آثار الانتقام ، والرحمة أحب إليه من الانتقام ، وبالرحمة خلق خلقه ولها خلقهم ، وهى التى سبقت غضبه وغلبته وكتبها على نفسه ، ووسعت كل شيء ، وماخلق بها فمطلوب لذاته ، وماخلق بالغضب فمراد لغيره ، والعقوبة تأديب وتطهير ، والرحمة إحسان وكرم وجود ، والعقوبة مداواة ، والرحمة عطاء وبذل .

---

(١) سورة النحل : الآية ٦١ .

(٢) سورة فاطر : الآية ٤٥ .

وآخـــر دعَـــواهم

آخر دعوى أهل الجنة ــ حمد الله ــ وهذا دليل على أن الله تعالى المحمود أبدا المعبود على طول المدى ولهذا حمد الله نفسه عند ابتداء خلقه واستمراره وفى ابتداء كتابه وعند ابتداء تنزيله .

يقول الله عز وجل مصداقاً لذلك : ﴿ **الحمد لله الذى خلق السموات والأرض** ﴾[1] .. ﴿ **الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب** ﴾[2] .. فهو المحمود فى الأولى والمحمود فى الآخرة وفى جميع الأحوال ولهذا جاء فى الحديث « إن أهل الجنة يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس » بفتح الفاء وإنما يكون ذلك كذلك لما يرون من تضاعف نعم الله عليهم فتكرر وتعاد وتزاد فليس لها انقضاء ولاأمد .

إن دعوى أهل الجنة التى يحبون[3] تحقيقها ليست مالا ولاجاهاً وليست دفع هم ولا غم ولا أذى ولا تحصيل مصلحة فلقد كفوا شر ذلك كله ولقد اكتفوا فما هم من حاجة من تلك الحاجات ولقد استغنوا بما وهبهم الله ولقد ارتفعوا عن مثل هذه الشواغل والهموم .. إن أقصى مايشغلهم ــ حتى ليوصف بأنه « دعواهم » : هو تسبيح الله أولاً وحمده أخيراً يتخلل هذا وذاك سلام وتحيات بينهم وبين أنفسهم وبين ملائكة الرحمن .. ﴿ **دعواهم فيها سبحانك اللهم .. وتحيتهم فيها سلام .. وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين** ﴾[4] ..



(١) سورة الأنعام : الآية ١ .

(٢) سورة الكهف : الآية ١ .

(٣) انظر فى ظلال القرآن : ٣ / ١٧٦٨ .

(٤) سورة يونس : الآية ١٠ .

الفهـــــــــــرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
الباب الأول : همسة فى أذنك	٥
ابن القيم ينشد فى الجنة	٧
وجود الجنة وخلقها	٨
الباب الثانى : الطريق إلى الجنة	١٧
ما يقرب إلى الجنة	٢٠
أسرار حقيقة التوبة	٢٢
درجات الشكر	٣٠
الإحسان	٣٤
الباب الثالث : صفة أهل الجنة	٤٠
غرف الجنة وبناؤها وقصورها	٤٤
نساء أهل الجنة	٥٢
الباب الرابع : ما أعده الله للمؤمنين فى الجنة	٥٩
ولدينا مزيد	٥٩
مسائـــل	٦١
وآخر دعواهم	٩٥

رقم الايـداع ٣٦٢٢ / ٨٤